

المنهج التربوي

عند أهل البيت (عليهم السلام)

تأليف

السيد سعيد كاظم العذاري

اسم الكتاب: المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)

المؤلف: السيد سعيد كاظم العذاري

الموضوع: علم الأخلاق

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المطبعة: ليلى

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٦ هـ

ISBN: 964-8686-94-7

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام)وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر. إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبّله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدم بالشكر الجزيل للأخ السيد سعيد كاظم العذاري لتأليفه هذا الكتاب ولكلّ الإخوة الذين ساهموا في اخراجه.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

المعاونية الثقافية

الفصل الأول

أصول التربية في منهج أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام) منهج واقعي يستند الى الطبيعة البشرية فلا يبدّلها ولا يعطلها؛ فهو يتابع دخائل النفوس وخوارج القلوب المؤثرة في حركة التربية كما يتابع الحركة الاجتماعية المؤثرة في نفس الإتجاه، ولهذا فللتربية أصول يمكن تقسيمها الى: أصول نفسية، وأصول شخصية، وأصول اجتماعية.

الأصول النفسية للتربية

أولاً: التهيؤ والاستعداد النفسي

إنّ التربية حركة وفاعلية وليست انكماشاً وانزواءً في خلجات النفس ومكنونات الضمير؛ ولهذا فمن يريد لها لابدّ وأن يسعى لها لينهض بتبعاتها ويؤدي تكاليفها، ولا يتحقق ذلك إلا بأنّ تنهياً النفس للتلقّي وتستعد للاستجابة للمفاهيم والقيم التربوية المراد تقريرها في النفس وفي الواقع، فمن كان متهيئاً ومستعداً للتربية فإنّه سيتغير على ضوء مفاهيمها وقيمها ان اتاحت له الفرصة وقدمت له الارشادات.

والمنتهي للصالح وعمل الخير تسهل عليه الحركة نحوهما، وهذا ما أشار اليه الإمام عليّ (عليه السلام) حيث يقول: «الخيرُ النفس تكون الحركة في الخير عليه سهلة متيسرة، والحركة في الأضرار عسرة بطيئة، والشرير بالضدّ من ذلك»^(١).

وقال أيضاً: «الحمد لله الذي شرّع الإسلام فسهّل شرايعه لمن ورده، واعزّ أركانه على من جاز به، وجعله عزّاً لمن والاه وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وزينة لمن تحلّى به، وعصمة لمن اعتصم به، وحبلاً لمن تمسك به»^(٢).

والتهيؤ والاستعداد ينقل الإنسان من مرحلة التأثر الوجداني الى مرحلة العمل الإيجابي الواقعي على ضوء المفاهيم المستعد لجعلها دليلاً له.

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «من نصح لله وأخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم، ووقفه الله للرشاد وسدّده للحسنى»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٧٥ .

(٢) الأمالي للشيخ المفيد: ٢٧٥ .

والتهيؤ والإستعداد قد يتراجع وينكص أحياناً لظروف طارئة، فيتراجع الإنسان عن حركته نحو الصلاح والرشاد، فينبغي مراعاة ظروفه وأحواله.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «إِنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً؛ فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها؛ فإنَّ القلب إذا اكره عمي»^(٤).

وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): «إِنَّ للقلوب اقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلت وملت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها»^(٥).

والتهيؤ والإستعداد مرّة يكون تهيؤاً واستعداداً دائماً أيّ متجذراً في النفس والضمير مستجيباً للأصول والكليات وفي جميع مراحل النمو والارتقاء، وأخرى يكون تهيؤاً واستعداداً مرحلياً متعلقاً بأحوال النفس الإنسانية وقدرتها على التلقّي والإستجابة في ظروف دون أخرى، وفي بعض الفروع والجزئيات.

ثانياً: التعقل

من خصائص أصحاب العقل السليم هي القدرة على إدراك الحقائق والمواقف وسير الأحداث، والقدرة على التشخيص في حال ارتباك المفاهيم والقيم، والقدرة على استخلاص العبر والدروس وراء الأحداث والمواقف، وهم قادرون على تشخيص المصالح والمفاسد القائمة في النفس وفي المجتمع، وإلى تمييز الحسن من القبيح في الأفكار والعواطف والممارسات.

والدعوة إلى التعقل من أساسيات المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)، فالعقل دليل الإنسان ومفتاح أمره نحو الرشاد والتكامل والنجاح في جميع مراحل التربية، وفي ذلك قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصله ومفصوله، وأخلص الواحدانية لله، والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدرِكاً لمافات ووارداً على ما هو آت؛ يعرف ما هو فيه، ولأيّ شيء هو ههنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل»^(٦).

(٣) تحف العقول للحراني: ١٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ١١: ١٩.

(٥) اعلام الدين للديلمي: ٣٠٧.

(٦) الكافي للكليني ١: ٢٥.

والعقل أو التعقل يوجب الحيطة والحذر من الوقوع في حبال الإنحراف، ويجعل الإنسان مترثاً قبل اتخاذ أي موقف أو القيام بأي ممارسة، ويجعله متوازناً في الاندفاع والانكماش تجاه الأفكار والقضايا والأحداث. قال الإمام عليّ (عليه السلام): «العقل يوجب الحذر»^(٧).
والتعقل يسدّد الإنسان ويوصله الى سبل الرشاد والاستقامة، وله الدور الأكبر في العفة والخلق الرفيع وفي نوال الخيرات.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «من استعان بالعقل سدّده».

«ثمرة العقل الاستقامة».

«من عقل عفا»^(٨).

«بالعقل تنال الخيرات»^(٩).

والعقل أو التعقل يستدعي التفكير في الأمور وعدم الاندفاع نحو سلوك معين أو ممارسة معينة دون تريث، والتفكير يمنع من الزلل ويحصن من الإنحراف وبالتالي يهدي الإنسان الى الرشاد والاستقامة.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «إنّ التفكير يدعو الى البرّ والعمل به»^(١٠).

«الفكر في الخير يدعو الى العمل به».

«الفكر إحدى الهديتين».

«الفكر يهدي الى الرشاد».

«عليك بالفكر فإنه رشد من الضلال ومصلح الأعمال».

«الفكر في العواقب ينجي من المعاطب».

«الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل»^(١١).

والتعقل والتفكير يساهم في خلق الأجواء السليمة للتربية عند المربي والمتربي، ومنها: فهم خصائص وصفات النمو التربوي والارتقاء والتكامل، وفهم الفوارق الفردية والاجتماعية الدخيلة في التربية، وفهم القدرات الذاتية والعملية والمتعلقة بدرجات التأثير والتأثر في المفاهيم والقيم التربوية المطروحة.

(٧) تصنيف غرر الحكم عبدالواحد الأمدي: ٥٢.

(٨) تصنيف غرر الحكم: ٥٣.

(٩) تصنيف غرر الحكم: ٣٦.

(١٠) الكافي ٢: ٥٥.

(١١) تصنيف غرر الحكم: ٥٦، ٥٨.

ثالثاً: التعلّم والانتقال

التعلّم ضروري في المجال التربوي وفي جميع مراحل حياة الإنسان ابتداءً بمرحلة الطفولة وما بعدها، وهي أفضل مرحلة للمبادرة الى التعليم؛ لنضوج القوى العقلية وتفتحها في اكتساب المهارات في مختلف شؤون المعرفة، والعلم والتعلّم ينير الطريق باتجاه الاستقامة الفكرية والعاطفية والسلوكية، وهو كالمصباح كما جاء في الروايات.

قال الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): «الحمد لله الذي جعل العلم لنا مصباحاً في ظلم الدجى»^(١٢). ومن خلال التعلّم ينتقل الإنسان من مرحلة تربوية الى أخرى ومن وضع الى آخر، وأول خطوات الانتقال هو العمل بمحتوى العلم؛ حيث ينتقل الإنسان من مرحلة النظرية الى مرحلة التطبيق.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «اعلموا أنّ كمال الدين ورأس الطاعة لله طلب العلم والعمل به»^(١٣). وإذا انتقل المتعلّم من مرحلة العلم الى مرحلة العمل فإنّ العمل بدوره ينقله الى مرحلة جديدة من العلم، تجعله يتكامل علمياً ومن ثم تربوياً وهكذا الى أن يصل الى القمة في سلوكه وممارساته العملية.

قال الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): «من عمل بما يعلم علّمه الله ما لا يعلم»^(١٤). وقد وردت روايات عديدة تشير الى أنّ العلم متوقّف في ادامته على العمل به، ومن هذه الروايات:

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «العلم يهتف بالعمل فإنّ أجابه وإلا ارتحل»^(١٥). وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل»^(١٦).

وقال (عليه السلام): «ادفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل»^(١٧). فالعلم يؤدي الى الانتقال الى مرحلة تقرير المفاهيم في الواقع، ويحدث ذلك إذا تأثر السلوك بتلك المفاهيم الحاصلة بالعلم وإنّ التعلّم يؤثر في تعلم أمور جديدة، ولهذا يؤكد أهل البيت (عليهم السلام) على الاستمرار في التعلّم والانتقال من الأصول الى الفروع.

قال الإمام عليّ الرضا (عليه السلام): «علينا إلقاء الأصول اليكم وعليكم التفرّع»^(١٨).

(١٢) أعلام الدين: ٩٤.

(١٣) أعلام الدين: ٩٤.

(١٤) أعلام الدين: ٣٠١.

(١٥) تصنيف غرر الحكم: ٤٥.

(١٦) تحف العقول: ٢١٥.

(١٧) تحف العقول: ٢٠٧.

والانتقال من العلم الى العمل أو من مرحلة علمية الى أخرى يتم عن طريق بعض الآليات التي اشارت اليها روايات عديدة نختصر مفاهيمها بالنقاط التالية:

- ١ - تركيز الانتباه.
- ٢ - تنمية قوة النقد.
- ٣ - التعمق في المسائل العلمية الضرورية.
- ٤ - النظر الدقيق الى الماضي وعبر التاريخ.
- ٥ - تحليل الأحداث والوقائع وعللها.
- ٦ - السعي والمثابرة وعدم الكسل.
- ٧ - مجالسة ذوي العقول.
- ٨ - التدريب والتمرين المتواصل.
- ٩ - ممارسة الثواب والعقاب المعنوي.
- ١٠ - اخلاص النية وجعل التعلم خالصاً لوجه الله تعالى.

رابعاً: المحاولة والفعالية

إنّ التربية ليست مجرد فهم وإدراك وتعلم بل هي عملية اصلاح وتغيير المحتوى الداخلي للإنسان ومن ثم المحتوى الخارجي المتمثل بالسلوك والسيره والموقف العملي، فهي عملية تلقي للمفاهيم والقيم ثم استنباعها بالعمل الإيجابي المطابق لها، ولا يتحقق ذلك إلا بحركة دؤوبة تتقدمها المحاولة والفعالية، ولهذا حث أهل البيت (عليهم السلام) على بذل الجهد ورفض الكسل.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «من كسل لم يؤد حقاً»^(١٨).

وأكد (عليه السلام) على النشاط والمحاولة العملية عن طريق ترويض النفس فقال: «رَوِّضُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَبْلُغُ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَانِمِ»^(٢٠).

(١٨) بحار الأنوار للمجلسي ٢: ٢٤٥.

(١٩) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٧٢.

(٢٠) الكافي ٢: ١٠٢.

وترويض النفس يجعلها قادرة على السمو والتكامل تدريجياً حتى يصبح السلوك الصالح والسيرة الحسنة عادة متجذرة في كينونة الإنسان وفي سلوكه الواقعي.

ويشجّع أهل البيت (عليهم السلام) على المبادرة في العمل الصالح وعمل الخير وعلى تعجيل التنفيذ للحيلولة دون التأثر بالمعوقات والمثبطات التي تيعده عن الفعالية والنشاط والحركة الحيوية.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): كان أبي يقول: «إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث»^(٢١).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «من هم بشيء من الخير فليعجله»^(٢٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا هممت بخير فلا تؤخره»^(٢٣).

والمحاولة العملية والفاعلية الواقعية لا تقتصر على العمل الإيجابي أو العمل البناء، بل تكون شاملة للعمل السلبي بمعنى الترك والهدم، فهي عملية هدم وبناء، وبهذه العملية يتقدم الإنسان في المجال التربوي، وفي ذلك قال الإمام علي (عليه السلام):

«من ترك الشر فتحت عليه أبواب الخير»^(٢٤).

«غيروا العادات تسهل عليكم الطاعات»^(٢٥).

«لن تهتدي الى المعروف حتى تضلّ عن المنكر»^(٢٦).

خامساً: التجارب

إنّ النظر في تجارب الماضين وفي تجارب المعاصرين وفي تجارب الإنسان نفسه اليومية؛ يوصله الى معرفة القيم الكامنة وراء سكناتهم وحركاتهم، وإلى معرفة الخطأ من الصواب، وللتجارب دور أساسي في تأصيل المفاهيم والقيم والأعراف المطلوبة. والتجارب كالإنذار للنفس الإنسانية فهي توقظ الفكر والعاطفة والإرادة لكي تتلقى الأمور على حقيقتها، ومعرفة قربها وبعدها من الثوابت السلوكية الصالحة، وهي تمحيص للنفس لتتجلى لها الحقيقة كما هي.

(٢١) الكافي ٢: ١٤٢.

(٢٢) بحار الأنوار ٧١: ٢٢٥.

(٢٣) بحار الأنوار ٧١: ٢١٧.

(٢٤) تصنيف غرر الحكم: ١٠٦.

(٢٥) تصنيف غرر الحكم: ٣٢٢.

(٢٦) تصنيف غرر الحكم: ٣٢٢.

والتجارب لها تأثيرها الواضح على التنمية العقلية وهي بدورها عامل هام من عوامل التربية والتي تجعل الإنسان يتقدّم أشواطاً نحو القرب من الاستقامة والرشاد.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «العقل غريزة تربيها التجارب»^(٢٧).

وقال (عليه السلام): «العاقل من وعظته التجارب»^(٢٨).

وفي التجارب يكمن العلم ويترقى الإنسان في تعلمه ومن ثم رشده واستقامته.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «في التجارب علم مستأنف، والاعتبار يفيدك الرشاد»^(٢٩).

وقال (عليه السلام): «الاعتبار منذر صالح»^(٣٠).

والتجارت تساعد الإنسان على سلامة الأفعال من الانحراف ومن الأخطاء والمساوئ، وتوصله الى الاستقامة وإصابة الصلاح، وهي تعمل عمل المؤدّب لمن نظر اليها بعين الاعتبار، وفي ذلك قال الإمام عليّ (عليه السلام):

«من حفظ التجارب أصابت أفعاله».

«من أحكم التجارب سلم من المعاطب».

«كفى بالتجارب مؤدّباً»^(٣١).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام): «اتّعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآثر»^(٣٢).

والتجارب ضرورية في جميع مراحل حياة الإنسان بما في ذلك مرحلة الطفولة، ولعلّ ظاهرة اللعب هي مصداق من مصاديق التجارب، فمنها أو من خلالها يتعلم الطفل ما ينفعه لأنّ اللعب ينمي ادراكاته الحسية والعقلية فيتعلم ما يحتاجه وما لا يحتاجه، ويتعلم كيف يتكيف اجتماعياً مع الآخرين وكيف يتعاون معهم، ويتعلم الفضائل الاجتماعية، ولأهمية اللعب في حياة الطفولة، قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «دع ابنك يلعب سبع سنين، والزمه نفسك سبعاً، فإن أفلح وإلا فإنه ممن لاخير فيه»^(٣٣).

(٢٧) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٤١.

(٢٨) تصنيف غرر الحكم: ٤٤٤.

(٢٩) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٥٩.

(٣٠) الأمالي للشيخ المفيد: ٣٣٦.

(٣١) تصنيف غرر الحكم: ٤٤٤.

(٣٢) تحف العقول: ١٦٧.

(٣٣) الكافي ٦: ٤٦.

الأصول الشخصية للتربية

أولاً: الاعتدال النفساني بين المربي والمتربي

مسؤولية التربية مسؤولية متبادلة ومتكافئة بين المربي والمتربي، وهي ليست مجرد ارشادات وتعليمات وأوامر ونواه تصدر من المربي ليستجيب لها المتربي، بل هي عملية تغيير للفكر والعاطفة والسلوك وبمعنى آخر هي تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، ولا يتحقق ذلك إلا بالاعتدال النفساني بين طرفي التربية ولا يمكن تصور هذا الاعتدال إلا بتهيئة الظروف لكي يراعي المتربي حقوق المربي ويراعي المربي حقوق المتربي ليساهما معاً في انجاح مسؤولية التربية، وقد حدّد الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) هذه الحقوق ومنها:

١ - حق المعلم أو المربي

«وأمّا حقّ سائسك بالعلم فالتعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه والإقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لاغنى بك عنه من العلم، بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكي له قلبك وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقض الشهوات، وأن تعلم أنك فيما القي إليك رسوله الى من لفيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه اليهم، ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها»^(٣٤).

«وأمّا حق الناصح فإن تلين له جناحك، ثم تشرئب له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها»^(٣٥).

٢ - حق المتعلم أو المتربي

«وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم، فإن تعلم أنّ الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة، فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك، وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب

(٣٤) تحف العقول: ١٨٧.

(٣٥) تحف العقول: ١٩٤.

الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه كنت راشداً، وكنت لذلك أملاً معتقداً، وإلا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً»^(٣٦).

«وأما حق المستنصح فإنّ حقّه أن تؤدي إليه النصيحة على الحقّ الذي ترى له أنّه يحمل ويخرج المخرج الذي يلين على مسامعه، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإنّ لكل عقل طيقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة»^(٣٧).

ثانياً: قبول المسؤولية التربوية

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «قرأت في كتاب عليّ (عليه السلام): «إنّ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال لأنّ العلم كان قبل الجهل»^(٣٨).

قبول المسؤولية من قبل المربّي والمتربّي يساهم في خلق الأجواء الصالحة للتربية السليمة، حيث أنّ قبول المسؤولية هو تعبير عن وجود الاندفاع الذاتي نحو تحقيق المفاهيم والقيم التربوية في ضمير الإنسان وفي واقعه السلوكي، وهذا الاندفاع أمر ضروري في نجاح التربية مهما وقفت في طريقها المعوّقات.

وقبول المسؤولية يساهم في تحديد مستوى الأعمال والنشاطات، وقبول المسؤولية معناه الممارسة الفعلية للتربية، لأنّ المسؤولية ستكون عن النفس وعن الأسرة وعن المجتمع، ومن يتنبّأها سيكون مسؤولاً عن تقريرها في الواقع.

وقبول المسؤولية يترتب عليه قبول التربية نفسها بأساليبها ووسائلها، وقبول التربية بدوره يساهم في التوجه الواقعي نحو إصلاح النفس على ضوء أساسيات المنهج التربوي، ولذا عبّر الإمام الجواد (عليه السلام) عن قبول التربية قائلاً: «المؤمن يحتاج الى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممّن ينصحه»^(٣٩).

وقال الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) لبعض مواليه: عاتب فلاناً وقل له: «إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل»^(٤٠).

وقبول النصّح يساهم مساهمة واعية في الحصانة من الانحراف والرديلة.

(٣٦) تحف العقول: ١٨٨.

(٣٧) تحف العقول: ١٩٣.

(٣٨) الكافي ١: ٤١.

(٣٩) تحف العقول: ٣٤٠.

(٤٠) بحار الأنوار ٧٢: ٦٥.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «من قبل النصيحة أمن من الفضيحة»، «من أقبل على النصيح أعرض عن القبح»^(٤١).

وقبول المسؤولية التربوية يجعل الإنسان مسؤولاً أمام المراقبين له لأنهم سيتبعونه في حركته نحو إنجاح المسؤولية التربوية في الواقع، فهو مسؤول أمام النفس وأمام المجتمع وأهم من ذلك أمام الله سبحانه وتعالى المحيط بسكناته وحركاته.

ثالثاً: التدبّر والتأني والحذر

التربية ليست أمراً هيناً إذا نظرنا إلى طبيعتها، وطبيعة الميدان الذي تحلّ فيه وهو ميدان النفس البشرية، فهي تواجه محدودية الإنسان وضعفه وعجلته، وتواجه شهوات النفس ونزواتها المتجذرة والطارئة والمتقلبة، وتواجه كبرياء النفس وغرورها، وتواجه اعتزاز الناس بمفاهيمهم وقيمهم التي أنسوا بها بما تحمل من مصالح ذاتية ومطامع شخصية، وتواجه المغريات الخارجية التي تناعي الرغبات والشهوات وتهتف بالإنسان لإشباعها، ولهذا فالتربية تحتاج إلى تدبّر وتأني وحذر دائم، ومراعاة ذلك يساهم في نجاح المسؤولية التربوية وتقدمها في حركة الإنسان والمجتمع.

ومراعاة هذه الأمور يساهم في تشخيص سلامة الأفكار والأهداف والوجودات والممارسات العملية، ومعرفة مدى قربها وبعدها عن المنهج الإلهي في التربية، ويقلل من الأخطاء والاشتباكات المقصودة وغير المقصودة.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «من تورط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنوائب، والتدبر قبل العمل يؤمنك الندم»^(٤٢).

وقال (عليه السلام): «من تورط في الأمور غير ناظر في العواقب، فقد تعرض لمدرجات النوائب»^(٤٣).
والتأني يحصن الإنسان من الخطأ ويقربه من الإصابة، وكما ورد في أحاديث الإمام عليّ (عليه السلام):

«التأني يوجب الاستظهار».

«المتأني حريّ بالإصابة».

«أصاب متأنّ أو كاد، أخطأ مستعجل أو كاد».

«التأني في الفعل يؤمن الخطل».

(٤١) تصنيف غرر الحكم: ٢٢٦.

(٤٢) تحف العقول: ٦٠.

(٤٣) أعلام الدين: ١٨٧.

«بالتأني تسهل المطالب».

«روية المتأني أفضل من بديهة العجل».

«لا إصابة لمن لا أناة له»^(٤٤).

والحذر ضروري في المجال التربوي لأنه يجعل الإنسان المرَبّي والمتربّي محتاطاً في جميع أموره فلا يندفع لأول وهلة في تبني فكرة معينة، أو في القيام بنشاط معين، أو اتخاذ أسلوب تربوي معين، والأهم من ذلك هو الحذر من الأهواء النفسية المخالفة لثوابت الشريعة بمفاهيمها وقيمها التربوية، والحذر من الذنوب وما يترتب عليها من آثار عملية سلبية.

قال الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): «احذروا أيّها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها وحذركموها في كتابه الصادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عندما يدعوكم الشيطان اللعين اليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا ... فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب»^(٤٥).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم»^(٤٦).

فالحذر يجعل الإنسان واعياً لأضرار بعض الممارسات والمواقف وبالتالي يعمل على تجنبها فيحصن نفسه وأسرته ومن ثم مجتمعه من الانحراف، ومرحلة الحذر هي المرحلة الأولى من مراحل النمو التربوي عند الإنسان.

رابعاً: التكامل

إنّ مسؤولية الإنسان في الحياة هي حمل الأمانة الإلهية، والتي تريد للإنسان أن يسمو ويرتقي ويتكامل على ضوء المفاهيم والقيم الإلهية، والتكامل عمل دؤوب وحركة متواصلة لكي يكون الإنسان متوثباً دائماً نحو الأفضل والأحسن والأصلح في فكره وعاطفته وإرادته وسلوكه.

والتكامل لا يتحقق في وثبة واحدة بل هو عمل متسلسل وحركة متتابعة تبدأ بخطوة تلو الخطوة لتصل إلى القمة.

وحث أهل البيت (عليهم السلام) على التكامل في كل حين، فلا بدّ وإن يتوجه الإنسان نحو الكمال ليصل إلى نهايته.

(٤٤) تصنيف غرر الحكم: ٤٧٧، ٤٧٨.

(٤٥) الكافي: ٨: ٧٤.

(٤٦) بحار الأنوار: ٦٧: ٨٢.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو الى النقصان، ومن كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة»^(٤٧).

ولا يتحقق التكامل إلا بإصلاح معوقاته ومثبطاته وخصوصاً النفسية، كما قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي: قصر الهمة وقلة الحيلة، وضعف الرأي»^(٤٨).

وأول خطوات التكامل مجاهدة النفس والتغلب على أهوائها، بحيث لا تتوقف المجاهدة لأنّ التوقف لا يحقق التكامل الذي هو حركة وثابة.

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): إنّ المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكر ويفزع الى التوبة والمخالفة، فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف»^(٤٩).

ومن خطوات أو مراحل التكامل محاسبة النفس لأنّ فيها الصلاح ومن ثم الاستقامة، كما ورد عن الإمام عليّ (عليه السلام):

«ثمرة المحاسبة صلاح النفس» .

«من حاسب نفسه ربح» .

«من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب وأصلح العيوب»^(٥٠).

ومن مراحل التكامل تدارك الخطأ بالصحيح والخطيئة بالحسنة، وكما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

ليس شيء أشدّ طلباً من الحسنة، انها لتدرك الذنب العظيم القديم فتحذفه وتسقطه وتذهب به».

«إنّ الخطيئة لا تكفر الخطيئة، ولكن الحسنة تكفر الخطيئة»^(٥١).

ومن مراحل التكامل تعويد النفس على جميل الأعمال، وفي ذلك قال الإمام عليّ (عليه السلام): «عود نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحداث ويجزل لك المثوبة»^(٥٢).

(٤٧) وسائل الشيعة للحر العاملي ١٦ : ٩٤ .

(٤٨) تحف العقول: ٢٣٥ .

(٤٩) تحف العقول: ٢٠٦ .

(٥٠) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ١٢ : ١٥٤ .

(٥١) مستدرك الوسائل ١٢ : ١٥٨ .

(٥٢) تصنيف غرر الحكم: ٢٤٠ .

وبالمدامومة يتقرب الإنسان نحو الكمال والتكامل، وكما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أما المدامومة على الخير فيتشعب منه ترك الفواحش، والبعد من الطيش، والتحرّج واليقين، وحب النجاة، وطاعة الرحمن، وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل وقول الحق»^(٥٣).

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «أحبّ الأعمال الى الله عزّوجلّ ماداوم عليه العبد وان قلّ»^(٥٤).

ويتكامل الإنسان بالعلم والعمل معاً كما قال الإمام عليّ (عليه السلام): «العلم يرشدك والعمل يبلغ بك الغاية»^(٥٥).

(٥٣) تحف العقول: ١٤.

(٥٤) الكافي ٢: ٨٢.

(٥٥) تصنيف غرر الحكم: ٤٥.

الأصول الاجتماعية للتربية

أولاً: التعاون

التربية مسؤولية شاقة ومعقدة ولهذا فهي بحاجة الى تجميع الطاقات وتكثيف الجهود وتنسيق الخطط والبرامج التربوية، إضافة الى توزيع المسؤوليات على جميع قوى التأثير في المجتمع وهي: الأسرة، والمدرسة وعلماء الدين، ورجال الدولة.

وعن طريق التعاون تتولد لدى المربين معلومات وخبرات تربوية جديدة تتعلق بأسلوب التربية وبطرق التأثير، ولهذا حثت الروايات الشريفة على التعاون من أجل إصلاح الواقع وتغييره بإصلاح الأفراد وتغييرهم.

ومن مصاديق التعاون إعانة الآخرين بالنصيحة كمقدمة للتربية، ولو تحولت هذه الإعانة الى واقع ملموس، وقام كل فرد بأدائها، فإنّ الإصلاح التربوي سيتحقق بأدنى التكاليف وبأسرع الأوقات.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة، ساعده على كل حال».

وقال أيضاً: «ابذل لصديقك كل المودة، واعطه كل المواساة»^(٥٦).

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه»^(٥٧).

وقال الإمام عليّ (عليه السلام): «أعن أخاك على هدايته»^(٥٨).

ومن مصاديق التعاون: تبيان العيوب للمقابل لكي يتجاوزها ويصلح ما هو غير مرغوب، ولذا فإنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يعتبر من يبين العيوب، هو أحبّ الإخوان وليس العكس فيقول: «أحبّ إخواني اليّ من أهدى اليّ عيوبي»^(٥٩).

والتعاون في التربية ضروري لأنّ المجموعة تؤثر على الفرد أكثر من تأثير الفرد على الفرد وخصوصاً إذا استخدمت المجموعة أسلوباً شيقاً وبرفق.

(٥٦) أعلام الدين: ١٧٨.

(٥٧) بحار الأنوار ٧١: ٢٢٥.

(٥٨) مستدرک الوسائل ١٢: ٤٣٨.

(٥٩) تحف العقول: ٢٧٣.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): «المسلم مرآة أخيه فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه إلباً وارشدوه وانصحوا له وترفقوا به»^(٦٠).

ويكون تأثير المجموعة أكبر على الشخص غير المستقيم أو الذي صدرت منه بعض الأخطاء، حينما يهدّد بالمقاطعة من قبل المجموعة في حال عدم قبوله للتوبة والإنابة.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «لوائكم إذا بلغكم عن الرجل شيء تمشيتم اليه، فقلتم: يا هذا إمّا أن تعزلنا وتجتنبنا، وإمّا أن تكفّ عنا هذا، فإن فعل وإلا فاجتنبوه»^(٦١).

والتعاون يساهم في تبادل الآراء وفي الاتفاق على أساليب مشتركة في التربية، ويساهم في معرفة مواقع الخطأ والصواب في العمل الإصلاحي المعاش، ويتم تشخيص الصالحين والصالحين على حد سواء لكي توضع الخطط والبرامج المناسبة لكل شخص، وفي التعاون يشعر المربي والمصلح بأنه ليس وحيداً في الميدان، بل أنّ هنالك من يعاونه ويؤازره في مسؤوليته التربوية.

الشورى

الشورى مظهر من مظاهر التعاون، وهي خير وسيلة لنجاح العملية التربوية وتطبيق مفاهيمها وقيمها في الواقع، حيث أنّها تساهم في خلق الأجواء المناسبة والصالحة للتربية السليمة ومن أهمها:

١ - توثيق الروابط بين مختلف المربين والمصلحين، وتوثيق الروابط بين المربين والمتربين.

٢ - جعل الأفراد يشعرون بإنسانيتهم وكرامتهم، وبأنّهم شاركوا في وضع الخطط والبرامج، ولهذا لا يترددون في تنفيذها في الواقع.

٣ - التوصل الى الرأي الأصوب عن طريق تبادل الآراء.

٤ - توزيع المسؤوليات التربوية.

٥ - إبراز للكفاءات والقدرات، وعامل مساعد على الإبداع والابتكار.

٦ - التقليل من التأثيرات السلبية للمعوقات والمنبطات.

وقد حدّد الإمام عليّ (عليه السلام) جملة من فوائد الشورى فقال:

«جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول النصيح».

«الإستشارة عين الهداية».

(٦٠) تحف العقول: ٧١.

(٦١) وسائل الشيعة ١٦: ١٤٦.

«المستشير متحصن من السقط».

«من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ».

«شاور ذوي العقول تأمن من الزلل والندم».

«شاور في أمورك الذين يخشون الله ترشد»^(٦٢).

«في الشورى سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصن من السقطة، وحرز من الملامة،

ونجاة من الندامة، وإلفة القلوب، واتباع الأثر»^(٦٣).

ثانياً: الوفاق الاجتماعي

الوفاق الاجتماعي ضروري في انجاح جميع المهام والمسؤوليات وفي مقدمتها التربية، لأنّ الناس يؤثر بعضهم على الآخر بالفكر والسلوك، حيث إنّ العلاقة مع الآخرين تؤثر على شخصية الفرد وشخصية المجتمع حيث يؤثران على الفرد لكي يصل الى مستواهم الفكري والسلوكي، وهم مرآة لتقييم النفس حيث إنّ الفرد سيقوم بالالتزام بأخلاق المجتمع، ومسايرة معايير وموازنه الاجتماعية، والإمتثال لقواعد الضبط الاجتماعي.

والوفاق الاجتماعي يجعل الفرد غيوراً على المجتمع، حيث يفكر بتحقيق ما يصلح له وتجنب ما لا يصلح، ويجعله يوازن بين رغباته ورغبات الآخرين، ويحسن التصرف مع جميع الطبقات والشرائح، ويوازن بين حريته وحرية الآخرين، وجميع ذلك هو إصلاح للنفس وللمجتمع على أساس الموازين والمعايير والقيم التربوية.

ولأهمية الوفاق الاجتماعي حث أهل البيت (عليهم السلام) على تقريره في الواقع، فقد اعتبره الإمام عليّ (عليه السلام): من خصائص المؤمن، كما جاء في قوله: «المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(٦٤).

وقمة التوافق أن يكون المؤمن خادماً للآخرين، وفي ذلك قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «المؤمنون خدم بعضهم لبعض، يفيد بعضهم بعضاً»^(٦٥).

ومن أسس أو مقومات التوافق هو الإخاء في الله كما جاء في قول الإمام عليّ (عليه السلام): «تتبنى الأخوة في الله على التناصح في الله، والتبازل في الله، والتعاون على طاعة الله، والتناهي عن معاصي الله، والتناصر في الله وإخلاص المحبة»^(٦٦).

(٦٢) تصنيف غرر الحكم: ٤٤١، ٤٤٢.

(٦٣) العقد الفريد للملك السعيد: ٤٣.

(٦٤) الكافي ٢: ١٠٢.

(٦٥) الكافي ٢: ١٦٧.

وحدث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على الوفاق الاجتماعي عن طريق التواصل والتراحم والتزاور، وكلّ ذلك يساهم في إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام) وقمة هذا الأمر هو اتمام مكارم الأخلاق عن طريق اتباع منهجهم التربوي، وفي ذلك قال (عليه السلام): «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأمرنا وأحيوه»^(٦٧).

وحدث أهل البيت (عليهم السلام) على إيجاد مقومات الوفاق المؤثرة في التربية والإصلاح وهي: الإنصاف، والإيثار، وطلاقة الوجه، ولين الكلام، والمداراة، والرفق، والإحسان، والصبر، والحلم، والتقييم الموضوعي.

وحدث أهل البيت (عليهم السلام) من التقاطع، والتدابير، والتخاذل، والخصومة، لأنها مخالفة للوفاق والإخاء، ولأنّها تعيق سير العملية التربوية.

التنافس المشروع

والتوافق الاجتماعي لا يعني إلغاء روح التنافس المشروع، لأنّ التنافس غير الصراع، بل هو عامل مساعد على تقرير المفاهيم والقيم الصالحة في الواقع، وهو عامل من عوامل التكامل، لأنّه يساهم في الإسراع نحو تحقيق الأهداف والغايات من قبل المتنافسين.

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى أنّ المنافسة طريق للإصلاح والصالح: «صلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء»^(٦٨)

والمنافسة هنا أمر مشروع ومرغوب لأنّه حركة وفعالية للعقل وللإرادة توجه السلوك نحو الإستقامة والصالح.

وحدث الإمام الحسين (عليه السلام) على التنافس في المكارم فقال: «أيّها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغام»^(٦٩).

وحدث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على التنافس في المعروف فقال: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله»^(٧٠).

وإذا كان التعصّب طريقاً للتنافس، فقد حدث الإمام علي (عليه السلام) على التعصّب المشروع فقال: «فإن كان لابدّ من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور»^(٧١).

(٦٦) تصنيف غرر الحكم: ٤٢٢.

(٦٧) الكافي ٢: ١٧٥.

(٦٨) بحار الأنوار ٧٥: ٨٢.

(٦٩) بحار الأنوار ٧٥: ١٢١.

(٧٠) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ٣: ٣٨.

(٧١) نهج البلاغة: ٢٩٥.

والتنافس المشروع يخلق روح الإبداع بعد تحريك الطاقات الكامنة، ويوصل الى تبني الأسلوب الأمثل للتربية وتقريره في الواقع الإنساني.

ثالثاً: مراعاة حقوق الآخرين

وضع أهل البيت (عليهم السلام) منهاجاً كاملاً لحقوق الأفراد والطبقات والشرائح الاجتماعية بحيث لا يطغى حقّ على آخر، وهذا المنهاج كفيل بخلق أجواء التعاون والوفاق لأئمة يساهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات وينفي جميع ألوان التوترات والصراعات ليتحقق السلام والوئام والاستقرار في أوساط المجتمع، وجميع ذلك يمهد من العوامل الأساسية لنجاح العملية التربوية لأنّ التربية تجد لها مرتعاً خصباً في حال الوئام والاستقرار، وتجد من يتقبلها ويتأثر بمفاهيمها وقيمها مادام متمتعاً بالأمن والطمأنينة.

ومراعاة الحقوق بنفسها تنطوي على أسس ومفاهيم وقيم تربوية عديدة وشاملة ومتكاملة، إضافة الى أنّ من تراعي حقّه سيتقبل منك كل ارشاد أو توجيه، وبالتالي سيتأثر بما تقوله وبما تفعله بل تصبح قدوة له ما دمت مراعيّاً له، ويتضح ذلك من خلال أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في تبيان الحقوق.

قال الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): «وأما حقّ أهل ملتك عامة فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة، والرفق بمسيئهم، وتآلفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم الى نفسه وإليك؛ فإنّ إحسانه الى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه وكفّك مؤونته، وحبس عنك نفسه، فعمهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وانزلهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد وصغيرهم بمنزلة الولد وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه»^(٧٢).

وقد بيّن الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) في حقّ الصغير جملة من المفاهيم والقيم التربوية، فمراعاة حقّه تنطوي على تربيته، فقال (عليه السلام): «وأما حقّ الصغير فرحمته، وتثقيفه، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائمه، فإنه سبب للتوبة، والمداواة له وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده»^(٧٣).

ومراعاة الحقوق ستكون موضوعاً لتحقيق السنن الإلهية التي أودعها الله تعالى في الحياة الاجتماعية.

(٧٢) تحف العقول: ١٩٥.

(٧٣) تحف العقول: ١٩٤.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «برّوا آباءكم يبرّكم أبناءكم، وعفّوا عن نساء الناس تعف نساؤكم»^(٧٤).

ويوجّه الإمام الصادق (عليه السلام) الناس نحو رعاية اليتيم والنساء، فيقول: «اتقوا الله في الضعيفين»^(٧٥).

وقد دلت الدراسات والتجارب الميدانية أنّ حرمان اليتيم من حقوقه وحرمان المرأة من حقوقها وحرمان مطلق الإنسان من حقوقه يجعله يعيش حالة التمرد والعصيان إمّا على المفاهيم والقيم وإمّا على الوجودات والكيانات أفراداً كانوا أم مجتمعات، بحيث يكون التمرد عدواناً على النفوس أو الممتلكات أو الأعراض.

ومراعاة الحقوق من قبل السلطة يساهم في إصلاح الواقع السلوكي، وكما ورد عن الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): «ثلاث تجب على السلطان للخاصة والعامة، مكافأة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبة فيه، وتغمد ذنوب المسي ليتوب ويرجع عن غيّه، وتألّفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف»^(٧٦). والإنسان يراعي من أحسن اليه وبالتالي سيسير على نهجه ان كان صالحاً ممّا يساهم في نجاح العملية التربوية في أغلب مجالاتها.

رابعاً: العدالة الاجتماعية

إنّ المنهج الإسلامي الذي أرسى أركانه أهل البيت (عليهم السلام) منهج واقعي يراعي الفطرة الإنسانية بما تنطوي عليها من رغبات وأمنيات ومن حاجات واقعية، فلا يعطلها ولا يلغيها ولا يحملها ما لا تطيق، ومن حاجات الفطرة الإنسانية الأساسية وفي الواقع العملي هي العدالة الاجتماعية، فلا إصلاح ولا تغيير ولا سمو ولا تكامل بدون تمتع الناس بالعدالة الاجتماعية، لأنّ فقدان العدالة الاجتماعية يؤدي الى إرباك الواقع الاجتماعي وخلق الأجواء السلبية التي تثقل على المشاعر وتضغط على النفوس.

والعدالة الاجتماعية تهّي الأجواء للنمو التربوي السليم، حيث تهّي العقول والقلوب لتلقي المنهج التربوي السليم والاستجابة لمفاهيمه وقيمه، وهي توجه الإنسان الى الحركة نحو الارتفاع الى مستوى المسؤولية التي ناطها الله تعالى به، وتجعله يعيش الاهتمامات الأرفع متعالياً على جميع الرغبات والأهواء غير المشروعة وغير السليمة، فيتوجه لإصلاح نفسه وأسرته ومجتمعه.

(٧٤) تحف العقول: ٢٦٧.

(٧٥) الخصال للشيخ الصدوق ١: ٣٧.

(٧٦) تحف العقول: ٢٣٦.

وقد أكد الإمام عليّ (عليه السلام) على دور العدل في صلاح المجتمع فقال:
«عدل السلطان حياة الرعية وصلاح البرية».

«بالعدل تصلح الرعية».

«الرعية لا يصلحها إلا العدل»^(٧٧).

وحول عدم العدالة قال (عليه السلام): «الظلم يُزل القدم ويسلب النعم ويهلك الأمم»^(٧٨).

والعدالة الاجتماعية بكل أبعادها ومجالاتها خير مقوم للتربية ولهذا أوصى الإمام عليّ (عليه السلام) بها في التعامل مع المحسن والمسي فقال: «لا يكن المحسن والمسي عندك سواء، فإنّ ذلك يزهد المحسن في الإحسان، ويتابع المسي إلى الإساءة»^(٧٩).

والعدالة الاجتماعية في مجال الاقتصاد تساهم مساهمة فعالة في اصلاح الواقع الاجتماعي وتغييره على ضوء المفاهيم والقيم الصالحة، حيث إنّ العدالة الاجتماعية تحقق التكافل العام، والضمان الدائم، والتوازن بين الطبقات، وإزالة الفقر والجوع والحرمان، وكل ذلك يولد القابلية على تهذيب النفس بعد اشاعة الطمأنينة في داخلها، حيث يمنع الانحرافات التي يولدها الفقر أو الترف الفاحش، ويمنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع لأنّ الفقر والترف الفاحش يترك آثاراً سلبية على فكر الإنسان وعاطفته وإرادته، وفي مثل هذه الأجواء ينمو الانحراف بسبب الحرمان أو الاشباع بلا حدود.

وقد أكدت الروايات على الآثار السلبية لكل من الفقر والترف الفاحش.

ففي مجال آثار الفقر قال الإمام عليّ (عليه السلام):

«إنّ الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم».

«العسر يشين الأخلاق ويوحش الرفاق».

«ضرورة الفقر تبعث على فظيع الأمر».

«العسر يفسد الأخلاق».

«الفقر يخرس الفطن عن حجته».

«الفقر في الوطن غربة»^(٨٠).

«الفقر الموت الأكبر»^(٨١).

(٧٧) تصنيف غرر الحكم: ٣٤٠.

(٧٨) تصنيف غرر الحكم: ٤٥٦.

(٧٩) تصنيف غرر الحكم: ٤٣٨.

(٨٠) تصنيف غرر الحكم: ٣٦٥.

(٨١) نهج البلاغة: ٥٠٠.

وفي مجال آثار الترف الفاحش قال الإمام عليّ (عليه السلام):
«المال مادة الشهوات»^(٨٢).

«المال وبال على صاحبه إلا ما قدم منه».

«المال فتنة النفس وتهب الرزايا».

«كثرة المال تفسد القلوب وتنشئ الذنوب».

«إذا ملئ البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح».

«الشبع يفسد الورع»^(٨٣).

والعدالة الاجتماعية تخلق التوازن بين الناس وتمنع من الآثار السلبية للفقر والترف الفاحش على الأفكار والعواطف والسلوك، وحينما يرى الإنسان العدالة متحققة من قبل الدولة ومن قبل المجتمع، فإنه سيسعى لإحترام القوانين وتقديس القيم التي تتبناها الدولة والمجتمع، ويشعر بالرعاية التي تخلق في نفسه الطمأنينة والتوازن العاطفي مما يدفعه للإبداع والعمل الدؤوب للمحافظة على مفاهيم وقيم المجتمع الذي ساهم في جعله يتمتع بالعدالة.

(٨٢) نهج البلاغة: ٤٧٨.

(٨٣) تصنيف غرر الحكم: ٣٦٠، ٣٦٨.

الفصل الثاني أثر الوراثة والمحيط في البناء التربوي

أثبتت الدراسات التربوية والاجتماعية المستفيضة الأثر الواضح للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين شخصية الإنسان ; حيث تنعكس على جميع جوانبها الجسدية والنفسية والروحية ; فأغلب الصفات تنتقل من الوالدين والأجداد الى الأبناء ، إما بالوراثة المباشرة أو بخلق الاستعداد والقابلية للاتصاف بهذه الصفة أو تلك ، ثم يأتي دور المحيط التربوي ليقرر النتيجة النهائية للشخصية.

أولاً: دور الوراثة

من الحقائق الثابتة أنّ الأبناء يرثون الوالدين في خصائصهم وصفاتهم الجسمية والعقلية والنفسية ، وكذلك يرثون أجدادهم في بعضها.

وقد دلت الروايات على أنّ الإنسان يرث الخصائص والصفات الجسمية من جميع آبائه وأجداده ، ورد ذلك عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): « إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه الى آدم ، ثم خلقه على صورة أحدهم ، فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي »^(٨٤).

وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة من أنّ (وراثة المولود لا يحددها أبواه المباشران فقط ، بل هو يرث من جدوده وآباء جدوده وجدود جدوده وهكذا... وبديهي أنّ معظم وراثة الإنسان تنحدر اليه من آبائه الأقربين وأنّ أثر الجدود الأبعد يقل كلما زاد بعدهم ، وعلى هذا نستطيع القول: بأن نصف الوراثة من الأبوين ، وربعها من الجدود ، وثلثها من آباء الجدود وهكذا)^(٨٥).

(٨٤) علل الشرايع، الشيخ الصدوق: ص ١٠٣ ، المكتبة الحيدرية ، النجف (١٣٨٥ هـ).

(٨٥) علم النفس التربوي، الدكتور فاخر عاقل : ص ٣٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ .

والوراثة لها دور أساسي في نقل بقية الصفات ، ولهذا أكد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حسن الاختيار في الزواج فقال: «تخيروا لنطفكم فإنّ العرق دسّاس»^(٨٦).

ومصطلح (العرق) يقابله في الاصطلاح المعاصر مصطلح الجينات genes ، والتي تحملها الصبغيات (الكروموسومات) chromosomes التي تحتويها نواة الخلية الناجمة عن البويضة الأنثوية ovum المخصّبة من الحيوان المنوي الذكري sperm^(٨٧).

وتحذير رسول الله (صلى الله عليه وآله) من العرق الدساس ناظر الى الصفات النفسية والروحية والخلقية التي تنتقل بالوراثة ، أو يكون العامل الوراثي خالقاً للاستعداد في نفس الوليد للاتصاف بصفة من الصفات التي يحملها الوالدان أو الأجداد.

ويقول بيرون: (ان ابني وهو منسوب اليّ ، ولكيّ أرى أجداده الماضين ينازعوني هذا الملك العزيز لدي ، فإنهم يشوهون طهارة نفسه ، ويكدرون صفاء روحه بما رسب في أعماقهم من نزعات شريرة مجهولة انتقلت اليه بالوراثة»^(٨٨).

الخصائص والصفات المنقولة بالوراثة

الوراثة تؤثر في تحديد أغلب خصائص وصفات الشخصية ؛ حيث تخلق الإستعداد في النفس ، فإذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرعت بالإتجاه المناسب لها. والخصائص والصفات التي يمكن توريثها هي باختصار:

- ١ - الصفات الجسمية.
- ٢ - الصفات العقلية: كحدة الذكاء أو البلادة ، والطباع النفسية والعقلية ، وصدق النظر في الميول والاهتمامات والاتجاهات.
- ٣ - الطباع والسجايا: كالاهتمام أو عدم المبالاة ، والرعونة وحدّة الطبع ، وسرعة الإجابة أو الخمول والجمود ، والإحساس أو تعب الأعصاب ، والإنشراح والاكتئاب.
- ٤ - الميل في أعضاء الجسد نحو القوة أو نحو الضعف.
- ٥ - المزاج العصبي.
- ٦ - غرابة الطبع وشواذ الحالات العصبية^(٨٩).

(٨٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني : ٣ / ٩٣ ، جامعة المدرسين ، قم ، ط ٢.

(٨٧) علم نفس النمو، الدكتور حامد زهران : ص ٣٦ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢.

(٨٨) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي: ص ٥٧ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت (١٤٠٨ هـ).

(٨٩) سيكولوجية النمو والإرتقاء، الدكتور عبد الفتاح دويدار: ص ٨١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٣ م.

فالخصائص والصفات المنقولة بالوراثة إذن تنقسم الى نفسية وعقلية وخلقية ، وهي إما أن تنتقل بصورة مباشرة أو تخلق الإستعداد للاتصاف بها.

١ - الخصائص والصفات النفسية والعقلية

الأمراض النفسية تنتقل بالوراثة من الوالدين أو أحدهما الى الأبناء ، ولهذا حدّر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) من الانجاب من المرأة المجنونة خوفاً من انتقال الجنون منها الى الطفل ، فسئل عن ذلك فقال: « لا ، ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة فلا بأس بأن يطأها ولا يطلب ولدها »^(٩٠).

وحدّر أمير المؤمنين (عليه السلام) من تزويج الحمقاء لانتقال هذه الصفة الى الأبناء ولعدم قدرتها على تربيتهم تربية سوية فقال: « إياكم وتزويج الحمقاء ، فإن صحبتها بلاء ، ولدها ضياع »^(٩١).

وقد دلت الدراسات الحديثة على أنّ الوراثة تؤثر في النمو العقلي ، والصحة العقلية والانفعالية ، وتتوقف مكانة الإنسان في الحياة الى حد كبير على كفاءاته التي تحددها الوراثة الى حد بعيد ، والمواقف والعقائد والقيم تتأثر بمكانة الإنسان في الحياة ، وهكذا فإن الوراثة تؤثر ولو بصورة غير مباشرة في المواقف والعقائد والقيم^(٩٢).

وقد أثبت كثير من العلماء دور الوراثة في تحديد الصفات النفسية والروحية والعقلية للإنسان ، كوراثة الجنون ، ومرض انفصام الشخصية ، ويرى لوسين أنّ الطبع هو مجموعة الإستعدادات الوراثية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان^(٩٣).

وفي عام (١٩٦٣م) ظهرت أول دراسة عالمية ، جاء من بعدها ١١١ بحثاً في أرجاء العالم حتى عام (١٩٨١م) تدل هذه الدراسات على أنّ عناصر وراثية كثيرة (جينات أو أجزاء مختلفة من الحموض النووية) تتحد لتقرر قوة الذكاء الموروث^(٩٤).

وللذكاء والغباء تأثير واقعي على سلوك وأخلاق الإنسان ، وقد دلت الروايات على ذلك وأيدتها الدراسات العلمية والميدانية الحديثة^(٩٥).

(٩٠) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٨٥/٢٠ ، مؤسسة آل البيت ، قم ، ط١ (١٤١٢هـ).

(٩١) الكافي : ٣٥٤ / ٥ .

(٩٢) علم النفس التربوي، فاخر عاقل : ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٩٣) الشخصية وأثر معاملة الوالدين في تكوينها، انطوان رحمة : ص ٤٠ ، مطبعة الحياة ، دمشق.

(٩٤) الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، الدكتور إبراهيم الدر: ص ١٧١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٩٩٤م.

(٩٥) علم النفس التربوي، الدكتور علي منصور : ٤٥٣ / ٢ .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

١ - من لم يكمل عقله لم تؤمن بوائقه.

٢ - من لم يكن له عقل يزينه لم ينبل.

٣ - السفه يجلب الشر.

٤ - الجهل معدن الشر.

٥ - الجهل أصل كل شر^(٩٦).

وهناك خصائص وصفات نفسية تتأثر بالوراثة كالشجاعة ، وهذه الصفة لها تأثيرها الواضح على شخصية الإنسان في أغلب جوانبها ، ومن الوقائع اللطيفة حول وراثة الشجاعة ما قاله زهير بن القين للعبّاس ابن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أحدثك بحديث وعيته ؛ لما أراد أبوك أن يتزوج طلب من أخيه عقيل - وكان عارفاً بأنساب العرب - أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب ليتزوجها فتلد غلاماً شجاعاً ينصر الحسين بكر بلاء ، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم)^(٩٧).

٢ - الخصائص والصفات الخلقية

لا تقتصر الوراثة على الخصائص والصفات النفسية والعقلية ، التي تنتقل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؛ بل تتعداها الى الخصائص والصفات الخلقية والسلوكية ، إما بالمباشرة وإما بخلق القابلية والإستعداد للاتصاف بها ، وقد يصعب تشخيص الوراثة عن المحيط في أجواء الأسرة ، فالطفل ينشأ ويتربّع في ظل الخصائص والصفات الخلقية التي يتصف بها والداه أو أحدهما بالتقليد وبالمحاكاة.

وقد حدّر أهل البيت (عليهم السلام) من الاقتران بالمنحرفين لتحسين العائلة والأطفال من الإنحراف ، قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « لا تتزوجوا المرأة المستعنة بالزنا ، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلا أن تعرفوا منهما التوبة »^(٩٨).

وحدّر (عليه السلام) من تزويج شارب الخمر فقال: « من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها »^(٩٩).

(٩٦) تصنيف غرر الحكم : ص ٥٥ ، ٧٦.

(٩٧) مقتل الحسين، المقرّم : ص ٢٠٩ ، عن أسرار الشهادة : ص ٣٨٧.

(٩٨) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ص ٣٠٥ ، منشورات الشريف الرضي ، (١٤١٠ هـ).

(٩٩) الكافي : ٥ / ٣٤٧.

وقد دلت الدراسات الحديثة على هذه الحقائق ، وتنسب الى ديوجن هذه الكلمة حين التقى بأبله: (يا فتى كان أبوك سكران حين حملت بك أمك).

وكتب الطبيب الفرنسي Le Grand : أنّ أولاد السكيرين يشكلون متحفاً للأمراض ، من سوء نمو الجهاز العصبي ، ومن السل الى الصرع الى الهستيريا ، ومن ضعف الملكات العقلية وانحلالها تماماً الى ميول أخلاقية فاسدة واستعداد عجيب للإجرام^(١٠٠).

ويقول الدكتور كاريل: (ان سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعتبر جريمة عظيمة ؛ لأنّ الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج)^(١٠١).

ويرى أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّ الأصل الكريم والعرق الصالح يؤثر تأثيراً واضحاً على الإنسان ، فمن كان ينتمي الى نسب عريق في المكارم والفضائل ستكون المكارم والفضائل صفة ملازمة له في جميع جوانب حياته ، فللوراثة دورها وتأثيرها الواضح في أخلاق وسلوك الإنسان ، حيث تخلق في نفسه الإستعداد والقابلية للاتصاف بالمكارم والفضائل إذا كان ينحدر من أصول متصفة بها ، وكذا الحال في من ينحدر من أصول تتصف بالردائل والمفاسد ، فإنّه يرثها أو يكون قابلاً للاتصاف بها.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - إذا كرم أصل الرجل كرم مغيبه ومحضره.

٢ - جميل المقصد يدلّ على طهارة المولد.

٣ - من خبث عنصره ساء محضره.

٤ - من كرم محتده حسن مشهده.

٥ - منزع الكريم أبداً إلى شيم آبائه.^(١٠٢)

ويستدل(عليه السلام) على كرم الأعراق من خلال حسن الأخلاق ، فحسن أخلاق الأبناء كاشف عن حسن عروقه وأصوله ، قال(عليه السلام): « حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق »^(١٠٣).

وفي كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) دلالات واضحة على وراثة الخلق والشرف من الآباء والأمهات والأجداد ، وفي كلامه تشجيع على طلب الحوائج من ذوي الأصول الطيبة حيث

(١٠٠) دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن، الدكتور عبد الوهاب حمود: ص ٣٤ ، جامعة الكويت ، ١٩٨٣م.

(١٠١) الطفل بين الوراثة والتربية : ص ٧٨ ، عن طريق الحياة : ص ٩١.

(١٠٢) تصنيف غرر الحكم : ص ٤٠٩.

(١٠٣) المصدر السابق : ص ٢٥٤.

قال (عليه السلام): « عليكم في قضاء حوائجكم بكرام الأنفس والأصول ، تنجح لكم عندهم من غير مطال ولا من ».

وقال (عليه السلام): « عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوي الأصول الطيبة ، فإنها عندهم أقضى ، وهي لديهم أزكى » (١٠٤).

ويسوق الباحثون في علم النفس والتربية أمثلة على تأثير الوراثة على الخصائص والصفات الخلقية ، ومنها دراسة عائلة كالليكاك حين كان جندياً في عهد الثورة الأمريكية حيث اقترن مع فتاة ضعيفة العقل كانت خادمة في خان ، ثم اقترن عن طريق زواج شرعي بفتاة مدنية ذات ذكاء سوي تزوجها بعد عودته من الحرب.

ففي السلسلة الناتجة عن زواجه الشرعي لوحظ أن السواد الأعظم من نسله كان سوياً أما في السلسلة الثانية التي نشأت عن علاقة كالليكاك بفتاة الخان ، فقد لوحظ عدد كبير جداً من ضعاف العقول ومدمني الخمر والمومسات والمجرمين. (١٠٥)

ولتأثير الوراثة على الخصائص والصفات الخلقية نسوق مثلاً من تاريخنا الإسلامي نقارن فيه بين أسرتين: أسرة بني هاشم واسرة بني أمية ، ففي الأسرة الأولى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من ولده ، وفي الأسرة الثانية كان أبو سفيان ومعاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ، والاختلاف بين الأسرتين واضح المعالم ، حيث القمة في الخلق والسمو في المثل في قبائل الإنحراف الكلي والانحطاط التام في أغلب جوانب الشخصية.

ثانياً: دور المحيط التربوي

تتشترك الوراثة مع المحيط في البناء التربوي بحيث لا يمكن فصل بعضهما عن بعض ؛ لأنهما متكاملان متكاتفان ؛ حيث تخلق الوراثة القابلية والإستعداد للاتصاف بهذه الصفة أو تلك إن وجدت المحيط التربوي المناسب ، وتشترك الوراثة مع المحيط في خلق الشخصية بما في ذلك المتبنيات العقائدية والقيم ، ومع هذا التكامل والتكاتف يبقى للمحيط التربوي دور متميز في البناء التربوي ، وهذا واضح من خلال النظرة الى الواقع ، ومن خلال متابعة مسيرة الإنسانية التي لا تخلو من نبي مرسل أو وصي نبي ؛ يقومان بمهمة خلق المحيط التربوي المناسب لإصلاح النفس الإنسانية والمجتمع الإنساني.

والمحيط التربوي يشمل جميع مواقع التأثير في الواقع الاجتماعي وأهمها: الأسرة ، الأصدقاء ، حلقات الذكر ، المسجد ، علماء الدين ، المدرسة ، الدولة.

(١٠٤) تصنيف غرر الحكم : ص ٢١٤.

(١٠٥) علم النفس، الدكتور فاخر عاقل : ص ٢٦٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ط ١٠٥.

١ - الأسرة

الأسرة هي المحيط التربوي الأساسي المسؤول عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية ; ليكون عنصراً صالحاً فعالاً في إدامتها على أساس الصلاح والخير والبناء الفعّال ، والأسرة نقطة البدء التي تزاوّل انشاء وتنشئة العنصر الإنساني ; وتؤثر في كلّ مراحل الحياة ايجاباً وسلباً ، وهي مسؤولة بالدرجة الأولى عن النشأة والترعرع ، وهي التي تحدد مسار الإنسان السلوكي ان كانت التنشئة الاجتماعية خارجها ملائمة ومتشابهة.

ولأهمية الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت(عليهم السلام)أهمية خاصة بها ، وكانت ارشاداتهم تؤكد على اختيار شريك الحياة الصالح والمتدين ليقوم بالتعاون مع شريكه في اعداد الأطفال اعداداً ينسجم مع المنهج السلوكي في الإسلام ، وحثّ أهل البيت الوالدين على القيام بمسؤوليتهما في التربية وخصوصاً الوالد حيث تقع عليه كامل المسؤولية.

قال الإمام زين العابدين(عليه السلام): « وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه ، فمثاب

على ذلك ومعاقب ، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر الى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه »(١٠٦).

وقال أيضاً: « وأما حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له والستر على جرائمه فإنه سبب للتوبة ، والمداراة له وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده »(١٠٧).

ودور الأسرة لا يحدد سلوك أفرادها فحسب بل يحدد جميع مقومات الشخصية: الفكرية والعاطفية والنفسية ; حيث ينعكس التعامل مع الأبناء على اتزانهم النفسي والانفعالي ، ولهذا يختلف الوضع النفسي من فرد لآخر في أسرة واحدة أو في أسر متعددة تبعاً لنوع المعاملة معه من حيث الرعاية أو الإهمال.

٢ - الأصدقاء والأصحاب

(١٠٦) تحف العقول، الحرّاني : ص ١٨٩.

(١٠٧) المصدر السابق : ص ١٩٤.

يتأثر الإنسان وخصوصاً في مراحل حياته الأولى بأصدقائه وأصحابه ; حيث تنعكس آراؤهم ومشاعرهم وممارساتهم على مقومات شخصيته عن طريق الاحتكاك والتلقين والاستهواء ، والتي تهياً العقول للتلقي ، والقلوب للإستجابة ، والإرادات للممارسة.

ويتأثر الإنسان بأصدقائه من حيث متبنياته الفكرية ونظرته الى الكون والحياة ، ومن ثم مواقف العملية وممارساته السلوكية ; ولهذا جاءت روايات أهل البيت(عليهم السلام) لتؤكد اختيار الأصدقاء الصالحين وتجنب الطالحين.

فمن كتاب لأمير المؤمنين(عليه السلام) كتبه الى الحارث الهمداني جاء فيه: « واحذر صحابة من يفيل رأيه ، ويُكر عمله ، فإنّ الصّاحب معتبر بصاحبه... وإياك ومصاحبة الفسّاق ، فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق »^(١٠٨).

وحذّر(عليه السلام) من مصادقة المنحرفين فقال: « إياك ومصادقة الأحمق فإنّه يريد أن ينفكك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل; فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر; فإنّه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكذاب; فإنّه كالسّرّاب يقربّ عليك البعيد ، ويبعدّ عليك القريب »^(١٠٩).
ومعاشرة الفساق والسفهاء خصوصاً تؤدي الى فساد الأخلاق كما ورد في حديث الإمام محمد الجواد(عليه السلام): « فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء »^(١١٠).

وفي مقابل هذه التحذيرات حتّ أهل البيت(عليهم السلام) على مصادقة ومجالسة الصالحين والاتقياء ; لأنّها وسيلة من وسائل اصلاح الفكر وإصلاح السلوك ; لأنّ الإنسان يتأثر بأفكار وسلوك المحيطين به ، وخصوصاً إذا كانوا أكثر علماً أو تجربة منه ، أو أكثر وجاهة منه ; لأنّ الإنسان يتأثر بالأعلى منه ويقتدي بمن فوقه من ذوي المواقع الاجتماعية المتقدّمة.
قال الإمام زين العابدين(عليه السلام): « مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح »^(١١١).

وقال(عليه السلام): « جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم ، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس ، فجالسوا أهل المروّات; فإنهم لا يرفثون في مجالسهم »^(١١٢).
وحتّ الإمام محمد الباقر(عليه السلام) على مصاحبة واتباع الناصحين فقال: « اتبع من يبيحك وهو لك ناصح ، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاشّ... »^(١١٣).

(١٠٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٨ / ٤٢.

(١٠٩) المصدر السابق: ١٨ / ١٥٧.

(١١٠) كشف الغمة، الإريلي : ٢ / ٣٤٩.

(١١١) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٠٥.

(١١٢) مستدرک الوسائل، النوري : ٨ / ٣٢٨.

(١١٣) الكافي، الكليني : ٢ / ٦٣٨.

٣ - المجالس وحلقات الذكر

المجالس وحلقات الذكر بيئة اجتماعية متكاملة تترك آثارها الملموسة على الإنسان تأثراً بالجماعة التي تتألف منها المجالس وحلقات الذكر ؛ حيث تخلق أجواءً تربوية فكرية وسلوكية تؤثر تدريجياً على المشاركين فيها ، وقد أطلق رسول الله(صلى الله عليه وآله) على مجالس الذكر وحلقات الذكر مصطلح «رياض الجنة».

قال(صلى الله عليه وآله): «بادروا إلى رياض الجنة» ، قالوا: يا رسول الله ، وما رياض الجنة؟ قال: «خلق الذكر»^(١١٤).

وسئل(صلى الله عليه وآله) أين رياض الجنة؟ فقال: «مجالس الذكر ، فاعدوا وروحوا في ذكر الله»^(١١٥).

وتتنوع مجالس وحلقات الذكر بتنوع الظروف والأوضاع ، كمجالس العلماء ، ومجالس الصالحين ، وجلسات حفظ القرآن الكريم وتلاوته ، ومجالس العزاء على الإمام الحسين(عليه السلام) ، ويلحق بها الاحتفالات والمهرجانات التي تُقام على مدار السنة في الأعياد ومناسبات ولادة رسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) ، ويوم المبعث ، ويوم الغدير وغير ذلك. ومجالس الصالحين لها أثر كبير في الإصلاح والتغيير ، وكما ورد عن الإمام زين العابدين(عليه السلام): «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح»^(١١٦).

ومن مجالس الصالحين المجالس التي تعقد أثناء الزيارات المتبادلة في المنازل ، وقد حث أهل البيت(عليهم السلام) عليها لدورها في التربية والإصلاح.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): «تزاوخوا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكر لأحاديثنا ، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض؛ فإن أخذتم بها رشدتم ونجوت ، وإن تركتموها ضللتكم وهلكتم ، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»^(١١٧).

وحذر أهل البيت(عليهم السلام) من الاشتراك في مجالس الانحراف لتأثيرها السلبي على المشاركين ، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): «لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره»^(١١٨).

(١١٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق : ٤ / ٤٠٩.

(١١٥) مكارم الأخلاق، الطبرسي : ص ٣١٢.

(١١٦) مجموعة ورّام : ٢ / ٣٥.

(١١٧) الكافي، الكليني : ٢ / ١٨٦.

وقال أيضاً: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن في مجلس يغتاب فيه إمام أو ينتقص فيه مؤمن »^(١١٩).

٤ - المساجد

المساجد من أهم الأجواء الإيمانية والتربوية ، التي تسهم بشكل فعال في تربية الإنسان واصلاحه وتغييره ، والمسجد خير محيط للإنسان للارتباط بالله سبحانه وتعالى وبالعالم الغيب ، حيث يجعل الإنسان يعيش أجواءً معنوية وروحية يتعالى فيها على أثقال الحياة ويتسامى فيها فكراً وعاطفة ثم سلوكاً.

قال الإمام الحسن (عليه السلام): « من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة ، وأخاً مستفاداً ، وعلماً مستطرفاً ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدله على الهدى أو تردّه عن ردى ، وترك الذنوب حياءً أو خشية »^(١٢٠).

ولأهمية المسجد في بناء الشخصية الرسالية تضافرت الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) على استحباب بناء المساجد ، واستحباب الصلاة فيها ، ووضعوا برنامجاً متكاملًا في المستحبات والمكروهات التي ينبغي مراعاتها داخل المساجد ؛ وهي الحصن الواقي الذي يدفع الإنسان للحركة نحو السمو والتكامل.

٥ - العلماء

للعلماء سلطان على الناس وخصوصاً علماء الدين ؛ لأنّ لهم قدسية خاصة يؤثرون من خلالها على الأفكار والعواطف والإرادات ، ولهم دور فعال في بناء الإنسان والتصدي لجميع ألوان الانحراف الذي يهدد فكر المجتمع وسلوكه ومسيرته التاريخية ، وهم ليسوا مجرد وعاظ ومعلمين لطقوس دينية أو فروض منطقية ؛ انهم قادة رويون يتحملون مسؤولية الهداية والاصلاح والتغيير الشامل.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصفه للعلم: « ... يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم »^(١٢١).

(٣) و(١١٩) مجموعة ورام : ٢ / ٢١٠.

(١٢٠) تحف العقول، الحرّاني : ص ١٦٦.

(١٢١) بحار الأنوار، المجلسي : ١ / ١٦٦.

ولمقام العلماء ودورهم في التأثير أثر واضح في صلاح الناس أو فسادهم تبعاً لصلاح العلماء أو فسادهم.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «إنّ كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً ، وإذا كان خطأ كان داءً»^(١٢٢).

وقال أيضاً: « زلة العالم كانهكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق »^(١٢٣).

وقال أيضاً: « زلة العالم تفسد عوالم »^(١٢٤).

٦ - الدولة

من الحقائق التاريخية أنّ المجتمعات تتأثر بحكامها ، حيث تنعكس أفكار وأخلاق الحاكم وأجهزة الحكم على الناس خيراً أم شراً ، فالحاكم حريص على تغيير المجتمع طبقاً لمتبنياته الفكرية والعاطفية والسلوكية ، ويستطيع تحقيق ما يحرص عليه لامتلاكه لمصادر القوة والتأثير ومنها: المال والإعلام.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل ويحارب بها لمن دونه ، ويرعاها من خاصته وعامته حتى تكثر في أيامه ، ويتحسن بها من لم تكن فيه »^(١٢٥).

وجعل الإمام الصادق(عليه السلام) مقدمات الإصلاح واجبة على السلطان وعلى دولته فقال: « ثلاثة تجب على السلطان للخاصة والعامة: مكافأة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبة فيه ، وتغمد ذنوب المسيء ليتوب ويرجع عن غيّه ، وتألفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف »^(١٢٦).

والرعية تتأثر بحكامها، وكما قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « قلوب الرعية خزائن راعيها ، فما أودعها من عدل أو جور وجده »^(١٢٧).

ومثّل (عليه السلام) الملك بالنهر والناس بالجداول فقال: « الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول ، فإن كان عذّباً عذبت ، وإن كان ملحاً ملحت »^(١٢٨).

أثر الغرائز في التربية

(١٢٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢٧١ / ١٩ .

(١٢٣) شرح نهج البلاغة : ٣٤٣ / ٢٠ .

(١٢٤) تصنيف غرر الحكم : ص ٤٧ .

(١٢٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢٨٢ / ٢٠ .

(١٢٦) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٣٦ .

(١٢٧) تصنيف غرر الحكم : ص ٣٤٦ .

(١٢٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢٧٩ / ٢٠ .

الغريزة في اللغة هي: الطبيعة والقريحة والسجية ، وقال اللحياني: هي الأصل والطبيعة^(١٢٩).

وفي الاصطلاح هي: استعداد فطري نفسي جسمي يدفع الفرد الى أن يدرك وينتبه الى أشياء من نوع معيّن ، وأن يشعر بانفعال خاص عند إدراكها ، وأن يسلك نحوها مسلكاً خاصاً^(١٣٠).

والغريزة كما هو المستفاد من معناها أمر مغروز في داخل الذات يتفاعل مع المحيط الخارجي لينطلق نحو الاستجابة والاشباع ، وهي قوة لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الإتجاه العام للسلوك الصادر منها في الواقع.

ومن هنا فللغريزة مظاهر ثلاثة: ١ - مثير خارجي. ٢ - سلوك عملي. ٣ - هدف يراد تحقيقه. وبعبارة أخرى أنّ الغريزة تتفاعل مع الشعور بمظاهره الثلاثة: الإدراك والانفعال والرغبة للتحقيق.

فهي تتفاعل مع المثير الخارجي وتتفاعل مع مظاهره المتنوعة ، وتنطلق لتحقيق هدفها وهو الاشباع والارتواء ، وهذا التفاعل والانطلاق هو أمر فطري لا يختلف ولا يتخلف من فرد لآخر ، وأمّا السلوك الصادر عن الغريزة ، فهو أمر تتحكم به ارادة الإنسان وما يحمله من متبنيات فكرية وعاطفية وخلقية ؛ من حيث نظريته للكون وللحياة والمجتمع ، فيكون منسجماً معها مطابقاً للأسس والقواعد التي تبناها في رسم منهجه في الحياة ، ولهذا يختلف سلوك الإنسان وممارساته العملية اندفاعاً وانكماشاً من إنسان لآخر تبعاً لدرجات إيمانه واعتقاده بمتبنياته.

وتتنوع الغرائز بتنوع تركيبة الإنسان وكيونته ، فهو جسد وروح ولكلّ منهما وظائفه الخاصة المترتبة على الحاجات الأساسية العضوية والوجدانية في آن واحد.

والتقسيم الثنائي للغرائز يرجعها الى العقل والشهوة ، وهما الأساس الذي تتفرع وتتعدد منهما سائر الغرائز والدوافع والحاجات.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « انّ الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة

بلا عقل ، وركب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله

شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله ، فهو شرّ من البهائم »^(١٣١).

(١٢٩) لسان العرب، ابن منظور : ٥ / ٣٨٦.

(١٣٠) منهج التربية أساسياته ومكوناته، الدكتور عليّ أحمد مدكور : ص ٥٩ ، دار الفنية ، القاهرة (١٩٩٣م).

(١٣١) علل الشرايع، الشيخ الصدوق : ١ / ١٠٢ ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، (١٣٨٥هـ) .

ومصطلح الشهوة يطلق على القوة التي تنتهي ، وعلى الأمر المشتبه^(١٣٢) .
فمن العقل تتفرع غريزة التدبّر وغريزة التكامل أو حب الكمال ، وغريزة الأمن والاستقرار ، ومن الشهوة تتفرع غريزة الجوع والغريزة الجنسية وبقية الغرائز ذات الطابع الجسماني.

عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): « إنَّ أوّل ما عصي الله به ستة أشياء: حبّ الدنيا ، وحبّ الرئاسة ، وحبّ الطعام ، وحبّ النوم ، وحبّ الراحة ، وحبّ النساء »^(١٣٣) .

وقد أيد العلم الحديث ما قاله الإمام عليّ(عليه السلام) في نظريته للإنسان حيث إنّ المفهوم السائد في هذا العصر (إنّ الإنسان لا هو حيوان ولا هو من السماء ، ولكنّه بين الاثنين ، وتطوره يعتمد على تمييزه المضبوط لطبيعة إمكاناته المحدودة)^(١٣٤) .

فالإنسان في رأي أمير المؤمنين تتجاذبه قوتان: الشهوة والعقل ، وهذه القوى تبكّر لديه في الظهور واليقظة ، وتسرع عنده في النمو والتأثير ، وهي المؤثرة في بنائه الخلقي والنفسي ، فإذا نمت قوة الشهوة وتغلّبت على قوة العقل فإنّ الإنسان سيكون مستسلماً لهواه وملذّاته وسيشبعها دون قيود أو شروط في أجواء المثيرات والمغريات الخارجية الى أن يصبح كالحيوان همّه بطنه وفرجه ، أو يقف الواقع حائلاً دون إشباعها ؛ فيؤدي ذلك الى اختلال التوازن النفسي والانفعالي في كيانه فيصاب بالاضطراب النفسي والروحي ، وإذا غلبت قوة العقل قوة الشهوة ، فإنّ الإنسان سيشبعها في وجهها الإيجابي ، فهو لا يوقف الشهوة ولا يعطلها بل يوجهها وجهة عقلانية ويقيدها بقيود الشريعة أو يؤجل إشباعها الى ظرفها المناسب المشروع.

ودور العقل هو تعديل الشهوة وتهذيبها واستبدال مثيراتها الطبيعية بمثيرات أخرى تتجبه بها الى السمو والكمال ، وتدفع بها سلوكها الفطري إلى سلوك فيه النضج والقوة للفرد والصالح للمجتمع.

والعقل يقدّم التسامي على اللذات الفانية ، ويوجه الإنسان الى طاعة ربّه ويقدمها على غيرها.

(١٣٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب : ص ٢٧٠ .

(١٣٣) مجموعة ورّام : ٢ / ٢٠٥ .

(١٣٤) الشخصية بين النجاح والفشل، الدكتور عباس مهدي : ص ٩١ ، عن :

Colin wilson, Beyond the Outsider p.159.

وَيَصِفُ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَهْلَ التَّقْوَى قَائِلًا: «أَخْرَوْا شَهْوَاتِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ خَلْفَهُمْ ، وَقَدَّمُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ أَمَامَهُمْ» (١٣٥).

فَالْإِمَامُ لَمْ يَقُلْ: الْغَوَا شَهْوَاتِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ أَوْ عَطَّلُوهَا بَلْ قَالَ: أَخْرَوْا ، لِأَنَّ مِنْهَجَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هُوَ مِنْهَجُ التَّوَازُنِ ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يِعَاتِبُ عَاصِمَ بْنِ زِيَادٍ حِينَمَا لَبَسَ الْعِبَاءَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لَهُ: «يَا عَدِيَّ نَفْسُهُ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَّا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» (١٣٦).

وَمِنْهَجُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَدْعُو إِلَى أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ حَاكِمًا عَلَى الشَّهْوَاتِ ، لِأَنَّ الْإِنْسِيَاقَ وَرَاءَ الشَّهْوَاتِ يُوْدِي إِلَى وَقُوعِ الْإِنْسَانِ فِي مَهَاوِي الرَّذِيلَةِ ، وَمِنْ آثَارِهَا مَا وَرَدَ فِي أَقْوَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

١ - قَرِينُ الشَّهْوَةِ مَرِيضُ النَّفْسِ مَعْلُولُ الْعَقْلِ.

٢ - غَلْبَةُ الشَّهْوَةِ تَبْطُلُ الْعَصْمَةَ وَتُورِدُ الْهَلْكَ.

٣ - مِنْ زَادَتْ شَهْوَتُهُ قَلَّتْ مَرَوَّتُهُ.

٤ - إِنْكُمْ إِنْ مَلَكَتُمْ شَهْوَاتَكُمْ نَزَتْ بِكُمْ إِلَى الْأَشْرِّ وَالْغَوَايَةِ (١٣٧).

وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ: إِنْ غَلْبَتِ الْعَقْلَ عَلَى الشَّهْوَةِ بِمَعْنَى تَحْكُمِهِ فِيهَا ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ فِي قِمَّةِ السَّمَوَاتِ وَالتَّكَامُلِ ، وَإِنْ غَلْبَتِ الشَّهْوَةُ عَلَى الْعَقْلِ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ فِي الْمُسْتَنْقَعِ الْآسِنِ وَفِي رَكْبِ الطَّالِحِينَ.

قَالَ الْإِمَامُ جَعْفَرُ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَا تَدْعُ النَّفْسَ وَهَوَاها ، فَإِنَّ هَوَاها رَدَاها ، وَتَرِكَ النَّفْسَ وَمَا تَهْوَى أَذَاها ، وَكَفَّ النَّفْسَ عَمَّا تَهْوَى دَوَاها» (١٣٨).

* * *

(١٣٥) تحف العقول، الحرّاني: ص ٢٠٩.

(١٣٦) نهج البلاغة: ص ٣٢٤.

(١٣٧) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٠٥.

(١٣٨) الكافي، الكليني: ٢ / ٣٣٦.

الفصل الثالث

التركيز على مرحلة الطفولة

في المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)

الطفل يعتبر كائناً اجتماعياً منذ أول أيام حياته ، وهو يتأثر بمحيطة الاجتماعية: التربوي والنفسي ابتداءً بالتأثر بوالديه ، ومراحل التربية الأولى تؤثر على جميع مراحل حياته ، فانساق النمو وأنواع التعلم وألوان التكيف التي تمر عليه أو يتعرض لها أو يخضع لها يمتد أثرها الى مجمل حياته المقبلة ، ومرحلة الطفولة هي مرحلة الإعداد للحياة؛ بل هي الحياة في دورها المتكامل.

ومرحلة الطفولة هي المرحلة التي يكتسب خلالها الإنسان أنماطاً سلوكية وأوضاعاً نفسية تمكنه من مواجهة الحياة بكل أبعادها وبجميع ألوانها وهي المرحلة التي تنمو فيها قابليات الطفل اللغوية والعقلية والاجتماعية ، وهي مرحلة تشكيل البناء النفسي الذي تقوم عليه أعمدة الصحة النفسية والخلقية؛ ولهذا تتطلب هذه المرحلة من الوالدين إبداء عناية خاصة في التربية والإعداد.

والتربية في مرحلة الطفولة لها أهميتها في تنشئة العنصر الإنساني ، وهي التي تحدد معالم ومقومات شخصية إنسان المستقبل ، وتبقى آثارها الايجابية أو السلبية ممتدة مع جميع مراحل النمو والتكوين ، وحول ذلك ورد في الشعر المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام):

حرّض بنيك على الآداب في الصغر *** كيما تقرّ بهم عينك في الكبر

وإنما مثل الآداب تجمعها *** في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر (١٣٩)

فالتربية في عهد الطفولة تمتد آثارها الى مراحل العمر المتأخرة وقد عبّر عنها (عليه السلام) بالنقش في الحجر.

واعتبر التقدّم أو النمو التربوي والخلقي في مرحلة الكبر متوقفاً على مرحلة الصغر والطفولة فقال (عليه السلام): «من لم يتعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر»^(١٤٠).

ومثل (عليه السلام) قلب الحدث وهو الطفولة بالأرض الخالية التي تتقبل مالقي فيها؛ حيث ان الطفل يتفاعل مع أيّ منهج تربوي يقدم اليه ، وهو الذي يحدد مسيرته المستقبلية فكرياً وعاطفياً وسلوكياً.

قال (عليه السلام): « وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية مالقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك؛ لتستقبل بجد رأيك من الأمر ماقد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته؛ فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه، واستبان لك منه ما ربما أظلم علينا فيه »^(١٤١).

وهذا القول الشريف دعوة لاستثمار مرحلة الطفولة في التربية والتعليم لإعداد الجيل الجديد إعداداً صالحاً ينسجم مع دوره المناط به في الحياة ، ومرحلة الطفولة مرتع خصب للتربية تتقبل كل مايطرح من منهج تربوي وتتفاعل معه تفاعلاً حقيقياً بحيث يمكن توجيه إنسان المستقبل بأيّ وجهة ، بحيث تكون أفكاره وعواطفه وممارساته في إطار المنهج الذي تلقاه في مرحلة الحدث.

وفيما يلي نستعرض مظاهر التركيز على مرحلة الطفولة في المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام):

المبادرة الى التعليم

من خصائص حملة العلم هي القدرة على إدراك الحقائق والمواقف وسير الأحداث ، والقدرة على التشخيص في حال ارتباك المفاهيم والقيم ، والقدرة على استخلاص العبر والدروس وراء الأحداث والمواقف؛ فلا يلتبس عليهم أمر من الأمور ، ولا تتأرجح عندهم الآراء والتصورات ، وهم قادرون على تشخيص المصالح والمفاسد القائمة في النفس وفي المجتمع وفي الحياة.

وبالعلم يتفتح الذهن للنظر في الكون والحياة ، ويصل الى معرفة المجاهيل والى تمييز الحسن من القبيح في الأفكار والعواطف والممارسات.

والدعوة الى العلم من أساسيات المنهج الإسلامي الذي أرسى أركانه رسوله الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته ، وأحاديثهم (عليهم السلام) حافلة بمقومات التعقل والتدبر وإدراك الحقائق

(١٤٠) تصنيف غرر الحكم: ٤٣.

(١٤١) تحف العقول: ٤٧.

والأحداث واستخلاص العبر والدروس ، وأهم مظاهر ومقومات العلم والتعلم المانعة من الجنوح والانحراف هي التمييز بين الصلاح والفساد ، وتشخيص منافع الاستقامة ومثالب الانحراف.

والتعليم والتعلم ضروري للإنسان في جميع مراحل الحياة ابتداءً بمرحلة الطفولة ، وهي أفضل مرحلة للمبادرة الى التعليم؛ لنضوج القوى العقلية وللرغبة الذاتية في اكتساب المهارات العلمية في مختلف شؤون المعرفة.

والطفل في هذه المرحلة لديه الإستعداد التام لحفظ مايلقى على مسامعه ، والتعليم في هذه المرحلة يساعد على رسوخ المعلومات في ذهنه وبقائها محفوظة في الذاكرة ، وكما مرّ التعبير عنها بعبارة (النقش في الحجر).

وتعليم الطفل حقّ من حقوقه وواجب من الواجبات الملقاة على عاتق الوالد أو الوالدين ، وكما ورد في الحديث الشريف عن الإمام زين العابدين(عليه السلام): « وأما حقّ الصغير فرحمته وتنقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به... »^(١٤٢).

وتعليم الطفل ضرورة من ضرورات التربية ، وينبغي المبادرة إليه قبل أن يقع الطفل في شرك المنحرفين فكرياً وعقائدياً ، والمبادرة الى تعليمه تحصنه من جميع ألوان الانحراف وخصوصاً الانحراف السائد في عصره.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « علموا صبيانكم ماينفعهم الله به; لا يغلب عليهم المرجئة برأيها »^(١٤٣).

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم اليهم المرجئة »^(١٤٤).

وينبغي ان يكون التعليم شاملاً لكل جوانب العلم ، وفي مجالاته المختلفة المادية والروحية ، وخصوصاً ما يحتاجه الطفل في مراحلہ القادمة بعد سن الرشد.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث، الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها »^(١٤٥).

وفي مقدمة العلوم تعليم مفاهيم وقيم المنهج الإسلامي بأصوله وفروعه والتي جمعها الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)بقوله: « وجدت علم الناس كله في أربع:

(١٤٢) تحف العقول: ١٩٤.

(١٤٣) تحف العقول: ٦٨.

(١٤٤) الكافي ٦: ٤٧.

(١٤٥) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٣٣.

أولها: أن تعرف ربك.

والثاني: أن تعرف ماصنع بك.

والثالث: أن تعرف ماأراد منك.

والرابع: أن تعرف مايخرجك من دينك» (١٤٦).

وقال(عليه السلام): « العلم حياة القلوب ومصابيح الأبصار; يوصل به الأرحام، ويعرف به الحلال والحرام;

يعطيه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء» (١٤٧).

وأكدّ أهل البيت(عليهم السلام) على العلم النافع للفرد وبالتالي للمجتمع في دنياه وآخرته ،

وطلب العلوم الدينية مقدّم على غيره ، وفي ذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

« خير العلم مانفع».

« خير العلوم ماصلحك».

« العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم أحسنه».

« خير العلم ما أصلحت به رشادك وشرّه ما أفسدت به معادك» (١٤٨).

وفي مراحل الطفولة ينبغي التركيز على أهم الأمور في تعليم الطفل ، وفي مقدمتها:

معرفة الله تعالى ، ومعرفة حلقة الوصل بين الله تعالى والإنسان وحجج الله على العباد وهم

رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته; ليقنّدي بهم الطفل ويكونوا مثلاً أعلى له في حياته

المستقبلية لأن التمسك بهم بعد موالاتهم ينجي الإنسان من الأهوال والمخاطر في الدنيا

والآخرة.

تعليم الطفل معرفة ربّه ورسوله وأهل البيت(عليهم السلام)

تعليم الطفل معرفة ربّه أوّل خطوات التدين عنده ، ومعرفة الخالق من المعارف الفطرية

عند الإنسان; فهي مودوعة في خلجات نفسه وأعماق ضميره ، ولا تحتاج إلا الى عرضها

بصورة جذّابة ومشوقة.

وحقيقة الإيمان الفطري اكدتها بحوث العلماء ، وفي هذا الصدد ننقل قولين من أقوالهم:

قال المسيوبوشيت: «انّ اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق... قد نشأ قبل

حدوث البراهين الدالة على وجوده ، مهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفوليته ، فلا

(١٤٦) الكافي ١: ٥٠.

(١٤٧) مجموعة ورام ٢: ٢٤٥.

(١٤٨) تصنيف غرر الحكم: ٤٦.

يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة وصار لها أكبر الآثار في حياته»^(١٤٩).

وقال برودون: «إنّ ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا»^(١٥٠). ومعرفة الله سبحانه وتعالى هي السبيل الوحيد الواقعي لصيانة الطفل ومطلق الإنسان من الانحراف؛ لأنها أساس الدين والتدين ، وكما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «الدين يعصم»، «من دان تحصّن»، «صيانة المرء على قدر ديانته»، «سبب الورع صحة الدين»، «بالهدى يكثر الاستبصار»^(١٥١).

وقد أثبتت المسيرة الإنسانية هذه الحقيقة ، والشواهد التاريخية مستفيضة ؛ حيث لا عاصم من الانحراف إلا الإيمان بوجود مطلق يراقب الإنسان بعد إحاطته التامة به. وقد اكدّ العلماء على دور الإيمان بالله في تربية الإنسان واكدّوا على أنّ (من أهم القيم التي يجب عليك غرسها في الطفل الإيمان بالله ممّا سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق ويوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف المآثم)^(١٥٢). وتعليم الطفل معرفة الله تعالى يفضل ان تكون بالتدرّج ضمن منهج متسلسل يتناسب مع العمر العقلي للطفل ، ودرجات نضوجه اللغوي والعقلي ، وقد حدّد الإمام محمد الباقر (عليه السلام) تسلسل المنهج كما ورد في حديثه:

«إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له: قل لا إله إلا الله سبع مرّات، ثم يترك حتى تتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً، فيقال له: قل محمد رسول الله سبع مرّات، ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له: قل سبع مرّات صلى الله على محمد وآله، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له: أيهما يمينك وأيهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حول وجهه الى القبلة ويقال له: اسجد، ثم يترك حتى يتم له سبع سنين فإذا تم له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له: صلّ ثم يترك، حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمت له تسع سنين علم الوضوء وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله عزّ وجلّ له ولوالديه انشاء الله»^(١٥٣).

(١٤٩) دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي ١: ٤٨٣، دار المعرفة، بيروت.

(١٥٠) المصدر السابق.

(١٥١) تصنيف غرر الحكم: ٨٦، ٩٣.

(١٥٢) قاموس الطفل الطبي، اعداد محمد رفعت: ٢٩٤، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٥.

(١٥٣) من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٢.

وهذا المنهج التعليمي قد اثبتته العلم الحديث الذي يؤكد على انّ في السنة الثانية والثالثة (يكتسب كلام الطفل طابعاً مترابطاً ممّا يتيح له امكانية التعبير عن فهمه لكثير من الأشياء والعلاقات).

وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام وفق قواعد نحوية ملحوظة ، وهذا يمكنه من صنع جمل أولية وصحيحة^(١٥٤).

والطفل في هذه المرحلة يكون مقلداً لوالديه في كل شيء بما في ذلك معرفة الله تعالى ، فإذا حدثاه عن الله تعالى فإنّه يؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً.

ويرى العلماء انّ (الطفل الذي لا يسمع شيئاً عن الله أو لا يعرف أي شيء عن فكرة الإله اثناء مرحلة العمر التي تبدأ في الثالثة وتنتهي في السادسة ، فإنه طبعاً لا يملك أي صورة عن الله ولا تتكون لديه أي مشاعر عن الخالق العظيم لكن الأحاسيس التي يشعر بها نحو والده ، ستكون بلا شك لها تأثير عظيم في ما يختاره من معتقدات دينية فيما بعد...) ^(١٥٥).

والطفل في هذه المرحلة يميل دائماً الى علاقات المحبة والمودة واللين فينبغي - وكما سيأتي - احاطته بالحب وإشعاره بالود ، لأنّ هذه المعاملة تجعله يتقبل أفكار الوالدين اللذين يمنحانه الحنان والحب ، وعلى رأس هذه الأفكار معرفة الله تعالى والإيمان به ، ويفضل أيضاً تأكيد الصفات الخاصة بالرحمة الإلهية والمغفرة ، وتجنب صفات العقاب والإنقام والعذاب الإلهي إلا في بعض حالات الاضطراب؛ لكي تتكون صورة جميلة في ذاكرة الطفل عن خالق الكون العطوف الرحيم ، وبالتالي يزداد تعلقه بالله تعالى.

والأفضل بل المطلوب التكلم أمام الطفل في خلق الله تعالى وعجائب مخلوقاته ، وتجنب التكلم في ذات الله لانه يزيد الإنسان تحيراً كبيراً كان أم صغيراً.

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « تكلموا في خلق الله ، ولا تتكلموا في الله؛ فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً » ^(١٥٦).

وبعد معرفة الله تعالى ينبغي بل يجب تعليم الطفل معرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت (عليه السلام) وتوجيه فكره وعاطفته نحو التعلق بهم لأنهم حلقة الوصل بين الله تعالى والناس ، وهم حجج الله على العباد ، والطريقة الأفضل تعليمه ما يتعلق برحمتهم وعطفهم وكرمهم ، ثم معاناتهم وما تعرضوا له من حرمان واعتداء؛ وهذا يساعد على جعل الطفل متعاطفاً معهم محباً لهم ، مبغضاً لمن آذاهم.

(١٥٤) علم النفس التربوي، للدكتور علي منصور ٢: ١٣٢.

(١٥٥) مشاكل الآباء في تربية الأبناء، للدكتور سيوك: ٢٤٨.

(١٥٦) الكافي ١: ٩٢.

ومن مصاديق التعليم كما ورد في تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) تعليم الطفل معرفة يوم القيامة ، والارتباط بالقرآن الكريم ، والارتباط بالله تعالى عن طريق الدعاء ، وتعليمه مسائل الحلال والحرام التي يبتلي بها حسب وعيه وإدراكه.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين »^(١٥٧).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام): « علمني جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلمات أقولهنّ في قنوت الوتر... اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت »^(١٥٨).

وينبغي تعليم الطفل الشعر المرتبط بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ، فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يشجع على تعليم الأطفال شعر أبي طالب (عليه السلام) ، فعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، قال: « كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعجبه أن يروي شعر أبي طالب وأن يدون، وقال: تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير »^(١٥٩).

والتعليم مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الوالدين بالدرجة الأولى لأنهم مسؤولون عن تنشئة الطفل وإعداده ليكون إنسان المستقبل ، ثم تأتي مسؤولية المدرسة ، ثم علماء الدين ، وكل هذه المسؤولية لا تحقق مقوماتها في الواقع إلا بتضافر وتكاتف الجهود والطاقات وانسجامها في البرامج والخطط التربوية والتعليمية.

تكثيف التربية

تكثيف التربية في مرحلة الطفولة ضرورة عقلية وشرعية؛ لأنها الفرصة المهمة في بناء الإنسان وإعداده ليكون عنصراً صالحاً في بناء الحضارة الإنسانية ، والتربية حقّ للطفل أوجبه الإسلام على الوالدين ، وهو بحاجة الى جهد اضافي وعناية اضافية في هذه المرحلة الحساسة من حياة الإنسان التي هي أساس التكوين العقلي والنفسي والسلوكي للإنسان في المراحل اللاحقة من حياته؛ وهي مرحلة بناء المحتوى الداخلي للإنسان في عقله وقلبه واراادته لينسجم مع المنهج الإلهي في الحياة الذي أرسى أركانه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) اكد (عليه السلام) على هذا الحق فقال: « وأما حقّ ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن

(١٥٧) الكافي ٦: ٤٧.

(١٥٨) مختصر تاريخ دمشق ٧: ٥.

(١٥٩) مستدرک الوسائل ٢: ٦٢٥.

الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعتك فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا؛ المعذر الى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه» (١٦٠).

والمبالغة في التأديب ضرورة يفرضها واقع الطفل وواقع الحياة الاجتماعية لأنّ الفرصة الممنوحة في هذه المرحلة لا تتكرر في المراحل اللاحقة، بل ستكون التربية فيها من أعقد وأصعب ألوان وأنواع التربية لأنّ الإنسان قد تجاوز مرحلة الحداثة والصفاء ومرحلة التلقي البريء.

والمبالغة في التأديب واجب على الوالد بالدرجة الأولى وكما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «تجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغة في تأديبه» (١٦١).

وقسم الإمام الصادق (عليه السلام) مرحلة الحداثة الى ثلاث مراحل تربوية تنسجم مع كينونة الإنسان ودرجات نموه العقلي والعاطفي والخلقي.

قال (عليه السلام): «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبعاً، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن فلتح وإلا فلا خير فيه» (١٦٢).

وفي رواية أخرى: «احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين، ثم أدبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلا فخلّ عنه» (١٦٣).

والمقصود من التأديب حسن الأدب وهو حقّ للطفل كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ للولد على الوالد حقاً، وإنّ للوالد على الولد حقاً، فحقّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلا في معصية الله سبحانه، وحقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن» (١٦٤).

والتربية أو تكثيف التربية في مراحل الطفل الأولى أكثر ضرورة من المراحل الأخرى؛ لأنّ الطفل يتمتع بفطرة سليمة ونقية وبريئة تتقبل مايلقى إليها من تعليمات وتوجيهات وإرشادات ونصائح قبل أن تتلوّث ويستحكم التلوّث فيها، والطفل كالصفحة البيضاء تتقبل كل ما يكتب فيها، فيجب على الوالدين استثمار الفرصة لأداء المسؤولية التربوية مادام الطفل في مراحل الأولى ومادام في رعايتهما، وقد عبّر أمير المؤمنين عن هذه المرحلة

(١٦٠) تحف العقول: ١٨٩.

(١٦١) تحف العقول: ٢٣٩.

(١٦٢) مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

(١٦٣) مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

(١٦٤) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ٥٤٦.

تعبيراً دقيقاً ، واعتبر قلب الطفل كالأرض الخالية فقال في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام):
« وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما لقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل ان يقسو قلبك، ويشغل
لبك... » (١٦٥).

فمرحلة الطفولة مرحلة رقة وشفافية القلب وهي مرحلة خصبة للأدب والتأديب ، ويمكن
استثمارها لصياغة شخصية إنسان المستقبل المنسجمة مع أساسيات وقواعد وضوابط المنهج
التربوي السليم.

وقال (عليه السلام): « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم » (١٦٦).

والمنهج التربوي المراد تحكيمه في واقع الإنسان وواقع الحياة الاجتماعية هو المنهج
الإلهي الذي يتمحور حول العبودية والطاعة لله تعالى الممتدة في جميع مرافق وجوانب
الحياة.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « اعملوا الخير وذكروا به أهليكم وأدبواهم على طاعة
الله » (١٦٧).

وقال (عليه السلام): « تأمرهم بما أمر الله به، وتنهاهم عما نهاهم الله عنه » (١٦٨).

وهذا الحديث جامع للقواعد الكلية التي تقوم عليها أعمدة المنهج التربوي السليم في كل
جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، العاطفية والروحية.

ولحراجة المرحلة التي يمر بها الطفل فإنّ الوالدين بحاجة الى الرعاية الإلهية للقيام
بمهام المسؤولية التربوية ، لأنّ التربية مسؤولية شاقة في أجواء اجتماعية متضادة
ومتناقضة في متبنياتها الفكرية والعاطفية والسلوكية ، فهي بحاجة الى تضافر جهود وتكاتف
طاقات ، والأهم من جميع ذلك الرعاية الإلهية واللفظ الإلهي.

ورد في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام): « اللهمّ ومنّ عليّ ببقاء ولدي... وربّ لي
صغيرهم... وأصحّ لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم... واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء... وأعني على تربيتهم
وتأديبهم وبرّهم... وأعزني وذريتي من الشيطان الرجيم، ان هممنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن هممنا بعمل
صالح حظنا عنه، يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات... اللهمّ فاقهر سلطانه عتاً بسلطانك، حتى
تحبسه عتاً بكثرة الدعاء لك، فنصبح من كيده في المعصومين بك » (١٦٩).

(١٦٥) تحف العقول: ٤٧.

(١٦٦) كنز العمال ٢: ٥٣٩.

(١٦٧) مستدرک الوسائل ٢: ٣٦٢.

(١٦٨) بحار الأنوار ١٠٠: ٧٤.

(١٦٩) الصحيفة السجادية الجامعة: ١٢٨، ١٢٩، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤١١، ط ١.

سيرة أهل البيت (عليهم السلام) في تكثيف التربية

أبدى أهل البيت (عليهم السلام) عناية خاصة بتربية أبنائهم في هذه المرحلة حتى أعدّوهم إعداداً متكاملًا فكانوا قمة ونموذجاً أعلى في جميع مقومات الشخصية سواء كانوا معصومين أم قريبي العصمة كالعباس ابن أمير المؤمنين وزينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد عبّر عنهم بأنّ عصمتهم غير واجبة تمييزاً عن العصمة الواجبة وهي عصمة الإمام.

ولو تتبعنا سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) نرى أنّه تربى في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة الشريفة ، وقد ذكر المؤرخون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تسلمه من أبيه وهو ابن ست سنين^(١٧٠).

وفي هذه النشأة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «... وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقربة القريبة والمنزلة الخصيصة... وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه؛ يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به...»^(١٧١).

وورد في الكتب الصحاح (حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة ، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله: خديجة وعليّ بن أبي طالب ، فجاءه جبريل بالرسالة)^(١٧٢). فكان (عليه السلام) أوّل من أسلم وآمن في اللحظات الأولى من البعثة ، فأخلص في إيمانه وطاعته لله ولرسوله ، وكان قمة في جميع الفضائل والمكارم ، وربّى بدوره أبنائه على شاكلته في الارتقاء الى القمة الشامخة في جميع المكارم.

ولو تتبعنا حياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لوجدنا أنهم كثفوا التربية لأبنائهم في مرحلة الطفولة والصبا والحداثة ، وقد زحرت الكتب بأحاديثهم التربوية ووصاياهم الإرشادية لأبنائهم المعصومين منهم وغير المعصومين ، فأمرير المؤمنين ربّى الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) والى جنبهما العباس وإخوته وزينب (عليهم السلام) ، والإمام الحسن (عليه السلام) ربّى القاسم والحسن المثنى ، والإمام الحسين (عليه السلام) ربّى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعليّ الأكبر ، والإمام زين العابدين (عليه السلام) ربّى الإمام الباقر (عليه السلام) وزيد الشهيد وهكذا.

(١٧٠) شرح نهج البلاغة ١: ١٥.

(١٧١) نهج البلاغة: ٣٠٠.

(١٧٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٠٨.

ونقتصر على ذكر حديث للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) جاء فيه: «أمرني والدي (عليه السلام) بثلاث ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يابني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يئثم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشدني:

عود لسانك قول الخير تحظ به *** ان اللسان لما عودت يعتاد
موكل يتقاضى ما سننت له *** في الخير والشر فانظر كيف تعاد»^(١٧٣)

تنمية العواطف

العاطفة تنظيم وجداني ثابت نسبياً ومركب من عدّة استعدادات انفعالية تدور حول موضوع معين؛ قد يكون شيئاً أو شخصاً أو جماعة أو فكرة ، كعاطفة حب الأم لطفلها ، أو احترام شخص لآخر ، أو ولاء المواطن لوطنه .
والعاطفة تعتبر منظومة من الإستعدادات الانفعالية ذات اتجاهات نزوعية مختلفة ترتبط بغرض معين ، وتهدف الى غاية معينة ، وتصنف عادة الى الأصناف التالية:

- ١ - ايجابية ، كالحب والإحترام.
 - ٢ - سلبية ، كالبغض والكراه.
 - ٣ - عواطف خاصة ، كحب شيء معين محدّد.
 - ٤ - عواطف عامة ، كحب مجموعة من الناس.
 - ٥ - عواطف مجردة معنوية ، ككره الشر.
- وتصنف أيضاً بحسب أبعاد شدتها ودرجة التأثير الإنفعالي بالموقف الذي يثير الحالة الوجدانية^(١٧٤).

ويرى بعض العلماء: أنّ معنى العاطفة مبهم جداً ، فهي تدل على جميع الأحوال الوجدانية من انفعال وميل وهوى ، وهي ميل وتغير انفعالي دائم؛ تتولد في النفس شيئاً فشيئاً بتأثير بعض العوامل الفكرية^(١٧٥).

ويمكن تقسيم العواطف الى أربعة أقسام:

- ١ - العواطف الفردية.
- ٢ - العواطف العالية.
- ٣ - العواطف الاجتماعية.
- ٤ - العواطف الخلقية.

(١٧٣) الخصال ١: ١٦٩.

(١٧٤) أصول علم النفس: ١٥٤، علم النفس وتطبيقاته: ٥٨، المعجم الفلسفي: ١١٥.

(١٧٥) علم النفس، لجميل صليبا: ١٩٥.

والعواطف من أهم بواعث الإنسان للعمل؛ حيث تتحكم بسلوكه وممارساته العملية اندفاعاً وانكماشاً تبعاً لدرجة التعلق والنفور ، وتبدأ العواطف منذ مرحلة الرضاعة ثم تنمو بالتدريج حينما يتقدم الطفل في العمر ، وحينما يتسع محيطه الاجتماعي ، وتتأثر العواطف بالمتبنيات الفكرية التي يتبناها الوالدان ويعلمانها للطفل في حدود إدراكه العقلي ، فحينما يؤمن بأنّ عملاً معيناً يرضي الله تعالى أو يرضي والديه فإنه سيندفع لممارسته ، والعكس صحيح.

وأفضل الطرق والوسائل لتنمية العواطف النبيلة إشعار الحدث بالحبّ والتقدير وإحاطته بالحنان والرفقة ، واشباع حاجاته المادية والروحية ، فإذا استشعر بذلك فإنه يرتبط ارتباطاً عاطفياً بمصدر الحبّ والحنان - وهما الوالدان ابتداءً - فتزداد ثقته بهما ، ويستجيب أو يقتنع بما يطرح عليه من مفاهيم ومثل وقيم ، ويكون مستعداً للإستجابة لهما ، فتصبح لديهما القدرة على الهيمنة عليه عاطفياً ، وتهذيب عواطفه بالصورة المنسجمة مع المفاهيم والمثل والقيم الصالحة ، وخلق التوازن بين مختلف العواطف لديه.

ولو تتبعنا روايات أهل البيت(عليهم السلام) لوجدنا أن طرق تنمية العواطف في داخل خلجات نفس الطفل عديدة ومتنوعة ولكن أهم الطرق منها هي:

١ - أن العواطف تتكون بالتدريج ، ولذا ينبغي ترك الطفل يمارس ما يرغب فيه أو يتخلى عن الأمور التي يكرهها ، فالممارسة الفعلية والخبرة الفردية أو الشخصية ومايرافقها من أخذ وعطاء واندفاع وانكماش تولد لدى الطفل مجموعة من العواطف ، ويقوم الوالدان بتهذيبها لتتجسم مع أساسيات منهج أهل البيت(عليهم السلام) ، وهنالك روايات عديدة تدعو الى فسح المجال للطفل في القول والفعل وفي اللعب وفي جميع حركاته ، وخصوصاً في السنوات السبعة الأولى.

٢ - ترغيب الطفل وتحبيبه الى الأمور الصالحة ، وترهيبه من الأمور الطالحة.

٣ - ممارسة دور القدوة أمام الطفل، تقوم بدور كبير في تكوين العواطف لديه؛ حيث أنّه يقتدي بوالديه قبل الاقتداء بغيرهم ، وخصوصاً إذا استشعر الحبّ والرفقة والحنان ، ودائماً ايجاءات السلوك أقوى من ايجاءات الألفاظ والكلمات.

والعواطف هي أساس الدين والتدين ، وليس الدين إلا الحبّ ، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « هل الدين إلا الحب؟ أن الله عزّ وجلّ يقول: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) »(١٧٦).

فالدين حبّ الله تعالى واتباع رسوله ، وهذا الحبّ يترتب عليه حبّ الله لعباده المتبعين له ولرسوله.

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من حبّ الرجل دينه حبّه إخوانه »^(١٧٧).
وحبّ الله تعالى من أهمّ العواطف التي يجب غرسها في قلب الطفل وتنميتها؛ لأنها أساس بقية العواطف ، وينبغي أن تكون حاکمة على غيرها ، وهي أساس الخير والصالح.
عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: « إنّ الله عزّ وجلّ يقول: بجلالي وجمالي وبهائي وعلاي وارتفاعي لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه، وهمّه في آخرته، وكففت عنه ضيعته وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر »^(١٧٨).

وحبّ المفاهيم والقيم، والحبّ في الدين ينبغي أن يكون محوراً للحب ، وكذلك البغض في الدين ينبغي أن يكون محوراً في البغض؛ لكي يعيش الطفل حسب ادراكه والكبير أيضاً العواطف النبيلة السامية ويتعالى على العواطف السطحية والواطئة.
قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « كل من لم يحب في الدين، ولم يبغض على الدين فلا دين له »^(١٧٩).

وقد أكّد أهل البيت (عليهم السلام) تبعاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على تنمية عواطف الحبّ والولاء لرسول الله وأهل بيته؛ لأنهم أرقى نماذج الشخصية الإسلامية ، وحبّهم يعني الاقتداء بهم والتسامي في السيرة السلوكية والخلقية ، وهي أساس النجاة في الدنيا والآخرة.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن »^(١٨٠).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): « ... وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم! وهم أزمة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاشى »^(١٨١).
وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): « ... فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم الى أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى الذين احتجّ الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفاق، وافترض مودتهم في الكتاب »^(١٨٢).

(١٧٧) الخصال ١: ٣.

(١٧٨) الخصال ١: ٣.

(١٧٩) المحجة البيضاء ٣: ٢٩٣.

(١٨٠) كنز العمال ١٦: ٤٥٦.

(١٨١) نهج البلاغة: ١١٩، ١٢٠.

(١٨٢) الصواعق المحرقة: ٢٣٣.

ووردت روايات متواترة تحت الوالدين على ربط الطفل بأهل البيت(عليهم السلام) وخصوصاً بالإمام الحسين(عليه السلام) لأنه سفينة النجاة ولأن نهضته ساهمت مساهمة فعالة في خلود القرآن والمنهج الإسلامي ، فلولاه لما ابقى الأمويون للإسلام باقية ، ولأن منبره وإحياء ذكره الأثر الأكبر في ربط الناس بمنهج أهل البيت(عليهم السلام) ، وهو الوسيلة القادرة على اصلاح وتغيير وتربية المجتمع والأطفال خصوصاً ، وقد اثبتت التجارب التاريخية دور المنبر الحسيني في الإصلاح والتربية.

وربط الطفل برسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته يساهم في:

أولاً: تعميق حبهم في قلبه وكيانه

ثانياً: الارتباط بهم فكرياً وعقائدياً.

ثالثاً: الاقتداء بهم.

ومن خلال هذا الارتباط تنمو في داخله العواطف النبيلة بجميع ألوانها وأنواعها كحب الإخلاص وحب الكرامة وحب الشجاعة والكرم والإيثار والسلوك الصالح ، والابتعاد عن كل ما ابتعدوا عنه ، وتنمو عواطف البغض والكره والنفور من الذين خالفوهم ووقفوا في مواجهتهم واجتناب سلوكهم وممارساتهم المخالفة لأهل البيت(عليه السلام).

وقد حث أهل البيت(عليهم السلام) على تجسيد القيم الصالحة في واقع النفس ، وجعلوا حبهم للإنسان متوقفاً على أهليته لتجسيد هذه القيم.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « إنا لنحب من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً، صدوقاً، وفياً »^(١٨٣).

وأكد الإمام زين العابدين(عليه السلام): على الحبّ الواعي المأمور به من قبل أهل البيت(عليهم السلام) والذي ينسجم مع دورهم في الحياة ، ومقامهم الواقعي ، فقال: « أحبونا حبّ الإسلام، ولا تحبّونا حبّ الأصنام، فما زال حبكم حتى صار علينا شيناً »^(١٨٤).

وأكد أهل البيت(عليهم السلام) على العواطف العالية ، لأنّ النفس إن لم تتوجه إليها فإنّها ستتحدر نحو العواطف الهابطة غير الهادفة.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) واصفاً حال العشاق: « قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره »^(١٨٥).

(١٨٣) الكافي ٢: ٥٦.

(١٨٤) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٠.

(١٨٥) آمالي الصدوق: ٥٣١.

وعلى ذلك ينبغي إبعاد الطفل عن التعلق والإنشداد الى الهابطين أو الهامشين أو المنحرفين ، لأنهم لا يقدّمون له النموذج الأفضل في سيرته وممارساته العملية المتوجهة للتكامل والارتقاء والتسامي ، ويتم ذلك بالمبادرة الى تحكيم العواطف النبيلة نحو ارقى نماذج الشخصية الإنسانية ابتداءً بالأنبياء وبأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وانتهاءً بالعلماء والفقهاء الصالحين والمصلحين.

التمرين على العبادات

العبادات روابط روحية تربط الإنسان بالمطلق اللامتناهي ، وتربطه بعالم الغيب والمعنويات ، فعن طريقها يتصل العقل والقلب والروح بالله تعالى اتصالات شتى ، حيث يتصل به خشوعاً وتذلاً ، وحباً وتطلعاً ، واطمئناناً الى قدره ، وتسليماً بما يرضاه ، ويتصل به مراقبة له في جميع الأمور الملازمة له في حركاته وسكناته.

وحين يشعر الإنسان - والطفل خصوصاً - بالرقابة الإلهية له ، فإنه سيخشع لها ليكون منسجماً مع مايريده الله ، ومخالفاً لما لايريده منه ، في الجهر وفي الخفاء ، وفي الصغيرة والكبيرة ، فلا يفكر بالشر والانحراف ولا يمتناه ولا يرتكبه.

والعبادات خير وسيلة لوقاية الأطفال من الانحراف لاستشعارهم الارتباط بصاحب الحول والطول وخالق الإنسان والمحيط به وخالق الجنة والنار ، وخالق الرحمة والرفقة وخالق العذاب ، وهذا الاستشعار حصانة من الانحراف والإنزلاق.

والعبادات وان كانت بظاهرها سهلة ويسيرة إلا أنها تحتاج الى تمرين وتدريب ينسجم مع قدرات الطفل العقلية واللغوية والبدنية ، وهو يحتاج الى عناية خاصة من أجل تذليل مشقة العبادات ، ومن أجل خلق الأُنس بينه وبينها ، فتكون متفاعلة مع عواطفه ومشاعره؛ لكي تتحول الى عادة ثابتة راسخة في خلجات نفسه وأعماق روحه؛ يقدم عليها بشوق واندفاع ذاتيين دون ضغط أو إكراه أو كلل أو ملل.

ويبدأ منهج أهل البيت (عليهم السلام) في وضع قواعد أساسية تتناسب مع أعمار الأطفال للتمرين والتدريس على العبادات مع مراعاة قدراتهم عليها واستعداداتهم النفسية والروحية والعقلية لها.

ففي التمرين على الصلاة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « أدب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والظهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً »^(١٨٦).

والمقصود من الضرب استخدام الشدة بشقيها النفسي والجسدي ، والشدة ذات بعد ايجابي ان أدت الى التزام الطفل بالعبادة ، فالمصلحة اكبر من الضرر الذي تخلقه لدى الطفل في حال استخدام الشدة.

وقال (عليه السلام): « علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم »^(١٨٧).

والأفضل أن يكون التمرين غير شاق؛ لأنه يؤدي الى النور من العبادة ، وخلق الحاجز النفسي بينه وبينها ، فينبغي مراعاة الإستعداد النفسي والجسدي للطفل ، وعدم إرهاقه بما لا يطيق.

عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): انه كان يأخذ من عنده الصبيان بأن يصلّوا الظهر والعصر في وقت واحد ، والمغرب والعشاء في وقت واحد ، فقل له في ذلك ، فقال: « هو أخف عليهم وأجدر ان يسارعوا اليها ولا يضيّعوها ولا يناموا عنها ولا يشتغلوا ».

وكان لا يأخذهم بغير الصلاة المكتوبة ، ويقول: « إذا أطاقوا فلا تؤخرونها عن المكتوبة »^(١٨٨).

والمداومة على العمل القليل أفضل من العمل الكثير الذي لا يداوم عليه.

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « مامن شيء أحبّ الى الله عزّ وجلّ من عمل يداوم عليه وان قلّ »^(١٨٩).

ويبدأ التمرين على الصوم من العام السابع ويستمر بالتدريج كلما تقدّم في العمر مع مراعاة قدرته البدنية واستعداداته النفسية ، قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « إنّنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإن كان الى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فإذا غلبهم العطش والغث أفتروا حتى يتعودوا الصوم ويطيّقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام فإذا غلبهم العطش أفتروا »^(١٩٠).

وعن سماعة قال: سألته عن الصبي متى يصوم؟ قال الإمام الصادق (عليه السلام): « إذا قوى على الصيام »^(١٩١).

(١٨٧) تصنيف غرر الحكم: ١٧٥.

(١٨٨) مستدرک الوسائل ٢: ٦٢٤.

(١٨٩) الكافي ٢: ٨٢.

(١٩٠) الكافي ٤: ١٢٥.

(١٩١) الكافي ٤: ١٢٥.

وعن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في كم يؤخذ الصبي بالصيام قال (عليه السلام): « ما بينه وبين خمس عشرة سنة وأربع عشرة سنة، فإن هو صام قبل ذلك فدعه، ولقد صام ابني فلان قبل ذلك فتركته » (١٩٢).

والصوم يحصن الطفل من الانحراف ، ويجعله يستشعر الرقابة الإلهية في خلجات نفسه فيتوجه الى الله بالعمل الصالح والاستقامة في السلوك ويتجنب الممارسات المنحرفة التي نهاه الله تعالى عنها ، وأهم مافي الصوم خلق الوازع الذاتي لدى الطفل الذي يأمره وينهاه ويكون رقيباً على حركاته وسكناته ، وهو ضروري في التربية.

ويستحب تمرين الطفل على الحج، فعن أحد الإمامين الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال: « إذا حجَّ الرجل بابنه وهو صغير فإنه يأمره ان يلبي ويفرض الحجَّ، فإن لم يحسن أن يلبي لبى عنه ويظاف به ويصلي عنه... يذبح عن الصغار ويصوم الكبار، ويتقى عليهم مايتقى على المحرم من الثياب والطيب، فإن قتل صيداً فعلى أبيه » (١٩٣).

وسئل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن إحرام الصبيان: « من أين يجرد الصبيان؟ فقال: كان أبي يجرد هم من فخ » (١٩٤).

وعن يونس بن يعقوب عن أبيه ، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن معي صبية صغراً وأنا أخاف عليهم البرد فمن أين يحرمون؟ قال: « انت بهم العرج فيحرموا منها... فإن خفت عليهم فأت بهم الجحفة » (١٩٥).

وعنه (عليه السلام) قال: « انظروا من كان معكم من الصبيان فقدموه إلى الجحفة أو الى بطن مرّ، ويصنع بهم ما يصنع بالمحرم ويظاف بهم ويرمى عنهم، ومن لا يجد منهم هدياً فليصم عنه وليه، وكان علي بن الحسين (عليهما السلام) يضع السكين في يد الصبي ثم يقبض على يديه الرجل فيذبح » (١٩٦).

ومن الأفضل تمرين الطفل على عمل الخير كالصدقة على الفقراء والمساكين؛ وهو أسلوب تربوي يربيه على عدم الركون الى الدنيا والتقليل من تأثير حب المال في نفس الطفل ، وهو مقدمة لإصلاح النفس لكي تكون سباقة إلى التعاطف مع الطبقات المسحوقة ، وسباقة إلى حب الخير وحب الصالحات وحب الإيثار والكرم وما شابه ذلك.

(١٩٢) الكافي ٤: ١٢٥.

(١٩٣) الكافي ٤: ٣٠٣.

(١٩٤) الكافي ٤: ٣٠٣.

(١٩٥) الكافي ٤: ٣٠٤.

(١٩٦) الكافي ٤: ٣٠٤.

وتمرين الطفل في مرحلة الصبا على العبادات والطاعات تجعله يداوم عليها في كبره؛ نتيجة للأنس بينه وبينها بحيث تصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانه ، وخير شاهد على ذلك سيرة أهل البيت(عليهم السلام) فقد كانوا القدوة والقمة في العبادة والطاعة.

وصف ابن أبي الحديد المعتزلي أمير المؤمنين(عليه السلام) قائلاً: « كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصقيين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته »^(١٩٧).

وقال(عليه السلام): « عبت الله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة بسبع سنين »^(١٩٨).

وعن الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) قال الحسن البصري: « ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورمت قدمها »^(١٩٩).

ويقول الإمام الحسن(عليه السلام): « رأيت أُمّي فاطمة(عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعة، فلم تزل راکعة وساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار »^(٢٠٠).

والإمام الحسن(عليه السلام) مشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكة حاجاً على رجليه^(٢٠١). وطلب الإمام الحسين(عليه السلام) من الجيش الأموي ان يمهله ليلة العاشر من المحرم للتفرّغ للعبادة هو وأصحابه وأهل بيته (فلما أمسوا الليل كله يصلّون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون)^(٢٠٢).

ولكثرة عبادة الإمام عليّ بن الحسين(عليه السلام) سميّ بزين العابدين^(٢٠٣).

وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر^(٢٠٤).

وكان إذا أتاه السائل يقول: « مرحباً بمن يحمل لي زادي إلى الآخرة »^(٢٠٥).

(١٩٧) شرح نهج البلاغة ١: ٢٧.

(١٩٨) خصائص أمير المؤمنين، للنسائي: ٢٧.

(١٩٩) ربيع الأبرار، للزمخشري ٢: ١٠٤، منشورات الشريف الرضي، قم، (١٤١٠ هـ).

(٢٠٠) كشف الغمة في معرفة الأنمة ٢: ٩٤.

(٢٠١) مختصر تاريخ دمشق ٧: ٢٣.

(٢٠٢) الكامل في التاريخ ٤: ٥٩.

(٢٠٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٣٤.

(٢٠٤) صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢: ٩٥، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٥ هـ).

(٢٠٥) صفوة الصفوة ٢: ٩٥.

وكان بقية أهل البيت(عليه السلام) قمة في الارتباط بالله تعالى والاخلاص في العبادة والطاعة ، فقد تمرنوا عليها في مقتبل العمر ، فكان بينهم وبينها أنس خاص وشوق للأداء .
فينبغي الاقتداء بسيرتهم وتوجيه انظار الأطفال للاقتداء بهم في عبادتهم وفي سيرتهم ليكونوا مثلاً أعلى لهم ، وقد اكدوا(عليهم السلام)على إحياء ذكراهم ، ومن هذا الإحياء تبيان ارتباطهم بالعبادة والطاعة والأنس مع الله تعالى ، وهي الحصن الحصين للإنسان وللطفل خصوصاً من الانحراف والرذيلة ، ودافع له للتسامي والتكامل في حركته السلوكية والخلقية والروحية.

وقاية الطفل من الانحراف

الوقاية من الانحراف ليست عملية هينة إذا نظرنا إلى طبيعة النفس الإنسانية المتسمة بالمحدودية والضعف والعجلة ، وهي عملية شاقة وعسيرة لمواجهة الكيان الإنساني بما يحمل من رغبات ونزوات وشهوات متجذرة أو طارئة أو متقلبة ، ولمواجهتها للتناقض السلوكي لشرائح المجتمع المختلفة ، ولهذا فهي بحاجة إلى عمل دؤوب وحركة متواصلة ، والوقاية تتطلب تظافر الجهود والطاقات ، وتكاتف جميع القوى المؤثرة في حركة الإنسان والمجتمع.

والوقاية تعني هداية الإنسان وبناء محتواه الداخلي في عقله وقلبه وإرادته؛ بخلق البواعث السليمة للعمل الصالح المعبر عن صحة التصور وسلامة القلب وطهارة الروح وخلوص الضمير ، وجعل الخير والحسن أصيلاً ثابتاً لا عارضاً مزعزعاً ، وبعبارة أخرى استجاشة عناصر الخير والفضيلة والإستقامة ، ومطاردة عوامل الشر والرذيلة والانحراف .
والوقاية لا تنحصر بمورد من الموارد ، ولا مجال من المجالات ، بل هي شاملة ومتكاملة ، شاملة للتصورات والمبادئ ، وشاملة للقيم والموازن ، وشاملة للشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد.

ولا تتحقق أسس ومبادئ الوقاية إلا في ظل نظام اجتماعي وتربوي واقتصادي وسياسي يتعاون فيه الجميع ، ولا وجود للنظام الشامل والمتكامل إلا بالرجوع للمفاهيم والقيم والموازن الإسلامية التي أرسى أسسها أئمة أهل البيت(عليهم السلام).
والعودة إلى الدين تعصم الطفل والمجتمع من جميع ألوان الانحراف والرذيلة ، وهذه حقيقة ثابتة لا تختلف ولا تتخلف.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «الدين يعصم»، «من دان تحصن»، «صيانة المرء على قدر ديانتته»، «سبب الورع صحة الدين»^(٢٠٦).

ومن أهم الخطوات الواقعة في طريق الوقاية هي توفير أجواء النمو السليم نفسياً وروحياً ، وخلق الأجواء الروحية والعاطفية الكفيلة بإشباع الحاجات في جميع مراحل النمو والتكامل ، وتنمية الوازع الذاتي والضمير عن طريق التربية والمراقبة المتواصلة.

ولا يمكن تحديد الإجراءات الوقائية في نقاط معينة لأنها شاملة لجميع العوامل والظروف المرتبطة بالتنشئة وبجميع مرافقها ، ومن هنا فالأولى أن ينصب الحديث على أهمها ، وهي الوقاية من الانحراف الجنسي ، وسنبحث باقي ألوان وأنواع الوقاية في طيات الفصول القادمة ، فهي بنفسها وقاية من جميع ألوان الانحراف.

وأول بوادر الوقاية ابعاد الطفل عن الآثار الجنسية ، وابعاده عن النظر إلى المباشرة الجنسية لأنه في المراحل الأولى من حياته يعمل ما يعمل أبواه عن طريق المحاكاة والتقليد. قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريتها، وفي البيت صبي؛ فإن ذلك مما يورث الزنا»^(٢٠٧).

ومن أساليب الوقاية التفريق بين الصبيان أثناء النوم ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « ... وفرّقوا بينهم في المضاجع إذا كانوا أبناء عشر سنين»^(٢٠٨).

والتفريق بين الصبيان والنساء أكثر ضرورة ، قال الإمام محمد الباقر(عليه السلام): « يفرّق بين الغلمان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين»^(٢٠٩).

ووردت روايات تحدد التفريق بسبع سنين ، وهي أكثرها احتياطاً ووقاية. ومن الوقاية الامتناع من تقريب الطفلة من غير أرحامها إذا بلغت ست سنين ، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « إذا أتى عليها ست سنين فلا تضعها على حجرك»^(٢١٠).

وعنه(عليه السلام) قال: « إذا بلغت الجارية ست سنين، فلا ينبغي لك أن تقبلها»^(٢١١). وقال(عليه السلام): « إذا بلغت الجارية ست سنين فلا يقبلها الغلام، والغلام لا يقبل المرأة إذا جاز سبع سنين»^(٢١٢).

(٢٠٦) تصنيف غرر الحكم: ٨٦.

(٢٠٧) وسائل الشيعة ٢٠: ١٣٣.

(٢٠٨) مستدرک الوسائل ٢: ٥٥٨.

(٢٠٩) مكارم الأخلاق: ٢٢٣.

(٢١٠) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٢٩.

(٢١١) تهذيب الأحكام ٧: ٤٨١.

(٢١٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٢٣٠.

فمن المستحسن عدم تعويد الصبيان على هذه الممارسات؛ لكي لا يشبّوا عليها لأنهم سوف لا يجدون حرجاً منها عند بلوغهم ، وقد أثبت علماء النفس أنّ (النسبة المعتدلة من التحريم التي فرضت علينا جميعاً اثناء الطفولة والتي نقلناها نحن بدورنا إلى أبنائنا؛ تلعب دوراً ايجابياً في تحرير عقل الطفل في اثناء سنوات الدراسة للتفرغ لإهتمامات غير ذاتية مثل الكتابة والقراءة والحساب) ولذا نراهم ينتقدون عري الرجال وعري النساء على الشواطئ الأمريكية^(٢١٣).

وفي المرحلة الراهنة: ينبغي القضاء على فرص الغواية وإبعاد الطفل عن جميع المثيرات لكي تبقى غريزته الجنسية في دور الكمون والركود ، ومن مظاهر القضاء على فرص الغواية:

- ١ - إبعاد الطفل عن رفاق السوء.
- ٢ - إبعاد الطفل عن الكبار ممن لا يرتبطون معه برابطة اجتماعية.
- ٣ - معاقبة المنحرفين الكبار وعزلهم عن أفراد المجتمع وعن الأطفال خصوصاً.
- ٤ - إغلاق أماكن الانحراف والفسوق.
- ٥ - إبعاد الأطفال عن العمل في المعامل أو المقاهي.
- ٦ - ايداع الأطفال الجانحين في مؤسسات إصلاحية تربوية.

* * *

الفصل الرابع

عوامل نجاح المنهج التربوي بنظر أهل البيت (عليهم السلام)

المنهج التربوي منهج شامل متكامل وضع لبناء الشخصية الإنسانية بناءً صالحاً ، وإيصالها إلى قمة التكامل والسمو والإرتقاء ، ولا يتحقق ذلك بمجرد طرح الآراء والمفاهيم والقيم ، أو الدعوة إلى تجسيدها في الواقع ، مالم تتوفر عوامل مهيئة تتحرك في أجوائها الآراء والتصورات لتدخل إلى عقل وقلب وإرادة الطفل لتوجهه الوجهة المنسجمة مع ثوابت وأساسيات المنهج التربوي السليم ، وهذه العوامل المهيئة تجعل الطفل مطمئناً للمنهج التربوي وللمسؤولين عن تحقيقه في الواقع ، وهذا الإطمئنان ضروري في تقبل المنهج واستشعار ضرورة تطبيقه في داخل النفس وفي واقع الحياة. وفيما يلي نستعرض عوامل نجاح المنهج التربوي:

علاقات المودة بين الوالدين

إنّ علاقات الودّ والحبّ بين الوالدين من أهم العوامل المؤدية إلى سكن النفس وهدوء الأعصاب وطمأنينة الروح بين الوالدين أنفسهما ، وبينهما وبين الأطفال ، وهذا اللون من العلاقات يؤدي إلى تماسك الأسرة وتقوية بنائها. والمودة والمحبة والرحمة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والتعاون الواقعي في تربية الأطفال ، وهي ضرورة للتوازن الانفعالي عند الأطفال. وقد دلت دراسات العلماء والباحثين على أنّ (اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائماً إلى تماسك العلاقة بين الوالدين ، ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة)^(٢١٤).

وعلاقات المودة والمحبة والرحمة والاحترام المتبادل ضرورية في جميع مراحل الحياة وخصوصاً في مرحلة الحمل ومرحلة الطفولة؛ لأنّ لها تأثيرات ايجابية على المرأة وعلى جنينها الذي يتأثر بأوضاعها النفسية والعاطفية ، وعلى وليدها في دور الحضانة والطفولة. وهذه العلاقات فرض إلهي وواجب شرعي؛ فتكون مظاهرها ومقوماتها وإدامتها استجابة لله تعالى وتقرّباً إليه ، وقد ركز أهل البيت(عليهم السلام) على إدامة مثل هذه العلاقات بين الوالدين لأنها أساس الاستقرار والطمأنينة.

قال الإمام زين العابدين(عليه السلام): « وأما حقّ رعيّتك بملك النكاح، فإنّ تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمّد الله على صاحبه، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت مالم تكن معصية، فإنّ لها حقّ الرحمة والمؤانسة وموضع السكون اليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها وذلك عظيم»^(٢١٥).

ومن مقومات المودة الإحسان إلى الزوجة ، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) حيث قال: « رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته»^(٢١٦).

وفي مقابل ذلك يكون حسن التبعل من ضروريات إدامة المحبة والمودة ، ولذا اعتبره الإمام محمد الباقر(عليه السلام) جهاداً للمرأة حيث قال: « جهاد المرأة حسن التبعل»^(٢١٧).

ومن العوامل المساعدة على إدامة المودة والمحبة والرحمة؛ انفتاح الزوجة مع زوجها ، وقد جعل الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) الانفتاح من علامات الخيرية لدى الزوجة ، فقال: « خير نسائكم التي إذا خلّت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست معه درع الحياء»^(٢١٨).

والانفتاح هو التوازن بين الاحترام وعدم التكلف ، فهي منفتحة مع زوجها مع تقدير مكانته ومقامه ، بلا افراط ولا تفريط.

وحدد الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) جملة من العوامل التي تعمق المودة والرحمة بين الزوجين فقال: « لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عيناها، وتوسعته عليها.

(٢١٥) تحف العقول: ١٨٨.

(٢١٦) من لا يحضره الفقيه، للصدوق ٣: ٢٨١، دار صعب، بيروت، (١٤٠١ هـ) .

(٢١٧) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.

(٢١٨) الكافي ٥: ٣٢٤.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، واطهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه»^(٢١٩).

ومن هذه العوامل: البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام فإنها تعمق المودة والمحبة، وتجعل المقابل يتقبل النصائح والإرشادات، وبالتالي فهي عامل مساعد لتربية جميع أفراد الأسرة بما في ذلك الأطفال.

ولهذا يؤكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على مثل هذه الأخلاق، فيقول: «طلاقة الوجه بالبشر والعطية، وفعل البر، وبذل التحية؛ داع إلى محبة البرية».

«عليك بالبشاشة فإنها حيالة المودة».

«عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوبك ويقل مبغضوك»^(٢٢٠).

مراعاة الحقوق والواجبات داخل الأسرة

وضع المنهج الإسلامي بثقله: القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) برنامجاً متكاملًا في الحقوق والواجبات داخل الأسرة الواحدة، فلكل فرد فيها حقوق وواجبات ينبغي مراعاتها؛ وهذه المراعاة كفيلة بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، وهي بدورها عامل مساعد على انجاح المنهج التربوي، حيث إنّ الإنسان وخصوصاً الطفل يتأثر بالتربية الناشئة من أجواء سليمة يسودها الاستقرار وتغمرها الطمأنينة، وأن جميع ذلك يؤثر على التوازن النفسي والروحي والانفعالي عند الطفل.

وأهم حقوق الزوج على الزوجة حق الطاعة، وهو حق مترتب على حق القimore لأن الحياة الأسرية لا تسير بلا قيمومة، والقيمومة منسجمة مع طبيعة الفوارق البدنية والنفسية والعاطفية لكل من الزوجين، ولا تتحقق القيمومية إلا بالطاعة.

عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: «جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصنق من بيته إلا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها...»^(٢٢١).

(٢١٩) تحف العقول: ٢٣٩.

(٢٢٠) تصنيف غرر الحكم: ٤٣٤، ٤٣٦.

(٢٢١) الكافي ٥: ٥٠٧.

وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): « ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة إذا رآها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله »^(٢٢٢).

ومن حقّ الزوج أن تعينه زوجته على أمر الدنيا والآخرة ، قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « ثلاثة للمؤمن فيها راحة: دار واسعة توارى عورته وسوء حاله من الناس، وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وابنة يخرجها إمّا بموت أو بتزويج »^(٢٢٣).

وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: « جاءت امرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزوج على المرأة؟ قال: أكثر من ذلك^(٢٢٤) فقالت: فخبّرني عن شيء منه، فقال: ليس لها أن تصوم إلا بإذنه يعني تطوعاً، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها »^(٢٢٥).

وعنه (عليه السلام) قال: « ان امرأة أتت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبعض الحاجة فقال لها: لعنك من المسوّفات، قالت: وما المسوّفات يا رسول الله؟ قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى ينعس زوجها وينام، فتلك لا تزال الملائكة تلعنّها حتّى يستيقظ زوجها »^(٢٢٦).

وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: « لا ينبغي للمرأة أن تعطل نفسها ولو تعلّق في عنقها قلادة، ولا ينبغي أن تدع يدها من الخضاب ولو تمسّحها مسحاً بالحناء وان كانت مسنة »^(٢٢٧).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « ليس للمرأة أمر مع زوجها في عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر في مالها إلا بإذن زوجها إلا في زكاة أو برّ والديها أو صلة قرابتها »^(٢٢٨).

ومراعاة حقّ الزوج من قبل زوجته يعمّق المودة والمحبة بينهما ، وتزداد ثقته بها ، وستصبح موضع احترام عنده؛ يرى فيها الاخلاص والوعي وتحمل المسؤولية ، وجميع ذلك يساهم في انجاح المسؤولية التربوية داخل الأسرة ، حيث يتم التعاون والتآزر في تحقيقها في الواقع ، فيتقبل الزوج اقتراحات الزوجة وملاحظاتها ، بل يتقبل منها أيّ مساهمة تربوية وان كانت موجهة له ، ولا يرى بها بأساً أو جرحاً لكرامته مادامت مؤدية لحقوقه ، فسيتعامل

(٢٢٢) الكافي ٥: ٣٢٧.

(٢٢٣) الكافي ٥: ٣٢٨.

(٢٢٤) أكثر من ذلك: أي حقوقهم أكثر من أن تذكر.

(٢٢٥) الكافي ٥: ٥٠٨.

(٢٢٦) الكافي ٥: ٥٠٩.

(٢٢٧) الكافي ٥: ٥٠٩.

(٢٢٨) الكافي ٥: ٥١٤.

معها تعامله مع الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر؛ لأنّ الزوجة مطالبة بهذه المسؤولية وان كان المقابل زوجها.

ومراعاة حقّ الزوج يساهم في تربية الزوج وتربية الزوجة وتربية الأطفال؛ لأنه مقدمة لاستقرار واطمئنان أفراد الأسرة ، وهو ضروري في تقبل الآراء والارشادات والتوجيهات. وفي مقابل حقّ الزوج ، وضع أهل البيت (عليهم السلام) حقوقاً للزوجة على زوجها يجب عليه أدائها وتنفيذها ، وهي ضرورية أيضاً لإشاعة الاستقرار والاطمئنان في أجواء الأسرة؛ وهما المرتع الخصب للنمو التربوي وبالتالي نجاح المنهج التربوي.

ومن أهم حقوقها مداراتها والإحسان إليها وتحسين الصحبة معها. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد ابن الحنفية: « إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلّ حال، وأحسن الصحبة لها، فيصفو عيشك »^(٢٢٩).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته »^(٢٣٠).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): « ... فإنّ لها حقّ الرحمة والمؤانسة... »^(٢٣١).

ومن حقوقها حقّ النفقة ، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟

قال: « يشبعها ويكسوها، وان جهلت غفر لها »^(٢٣٢).

وعنه (عليه السلام) قال: « جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فسألته عن حقّ الزوج على المرأة، فخيرها، ثم قالت: فما حقّها عليه؟ قال: يكسوها من العري، ويطعمها من الجوع، وان أذنبت غفر لها... »^(٢٣٣).

وسئل (عليه السلام) عن حقّ المرأة على زوجها ، فقال: « يسد جوعتها، ويستر عورتها، ولا يقبح لها وجهاً، فإذا فعل ذلك فقد والله أدّى حقّها »^(٢٣٤).

وقال (عليه السلام): « اتقوا الله في الضعيفين - يعني بذلك اليتيم والنساء - وإنما هنّ عورة »^(٢٣٥).

ومن حقوقها إكرامها ، عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « أ يضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها »^(٢٣٦).

(٢٢٩) مكارم الأخلاق: ٢١٨.

(٢٣٠) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.

(٢٣١) تحف العقول: ١٨٨.

(٢٣٢) الكافي ٥: ٥١٠.

(٢٣٣) الكافي ٥: ٥١١.

(٢٣٤) الكافي ٥: ٥١١.

(٢٣٥) الكافي ٥: ٥١١.

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنما المرأة لعبة، من أخذها فلا يضيّعها»^(٢٣٧).

والزوجة التي تشعر بأنها مصنونة ومكرمة وإنّ حقوقها متحققة ستقوم بمراعاة حقوق زوجها ، وستعمق الارتباط الروحي بينهما حيث المودة والمحبة والثقة والاخلاص ، والحرص على إرضاء الزوج ، ومن مظاهر ذلك تقبل ارشاداته وتوجيهاته والسعي لتقريبها في داخل الأسرة.

ومراعاة الحقوق والواجبات ضروري لإشاعة الاستقرار في أجواء الأسرة ، فيكون التفاعل بين الزوجين ايجابياً ، ويندفع كلّ منهما للعمل الدؤوب من أجل سعادة الأسرة وسعادة الأطفال بتقرير أسس وقواعد المنهج التربوي والالتزام بها ، والانطلاق داخل الأسرة وخارجها في حركة البناء التربوي على ضوء الثابت من النصائح والارشادات والتوجيهات.

والاستقرار الناشئ من مراعاة الحقوق والواجبات يجعل أفراد الأسرة وخصوصاً الأطفال مستقرين عقلياً ونفسياً وعاطفياً ، وهذا الاستقرار يخلق الأجواء التربوية المناسبة لبناء الذات واصلاحها والعودة إلى الاستقامة أو الاستمرار عليها.

تجنب الخلافات والصراعات داخل الأسرة

عدم الاستقرار وتفكك الأسرة الناجم عن الخلافات والصراعات بين الوالدين يؤدي إلى خلل في التوازن النفسي والعاطفي عند أفرادها وخصوصاً الأطفال ، ويستمر معهم هذا الخلل في جميع مراحل النمو ، والأجواء المتوترة والمتشجّنة تترك آثارها الخطيرة على شخصية الأطفال المستقبلية حيث تسلب منهم الاستقرار والأمن والطمأنينة والهناء ، وهي أساس الانحرافات والآثام والشرور.

والطفل في أجواء الخلافات والصراعات يبقى في دوامة من القلق والارتباك والحيرة لا يدري ماذا يفعل ، فهو لا يستطيع إيقافها وخصوصاً الشديدة منها ، ولا يستطيع الوقوف مع أحد الوالدين دون الآخر لأنه يحبهما معاً ، إضافة إلى محاولات كلّ منهما لتقريب الطفل إليه بإثبات حقّه واتهام المقابل بإثارة الخلافات والصراعات ، ويزداد الطفل قلقاً حينما تكون الخلافات حول الطفل نفسه من حيث إشباع حاجاته أو التعامل معه ، وجميع ذلك يترك أثراً سلبية على قلب الطفل وعلى عقله وعلى إرادته ثم سلوكه.

(٢٣٦) الكافي ٥ : ٥٠٩.

(٢٣٧) الكافي ٥ : ٥١٠.

والخلافات تدمر اطمئنان الطفل ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور سپوك: (أنها تدمر الإحساس بالأمان في أعماق الابن وتجعله يشعر أنّ النموذج العاطفي يهتز ، ويجعله يشكك في معظم العلاقات التي هي من هذا النوع.

ان العيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الأبناء الذين نشأوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد ، ان هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر ، وتنعدم فيهم الثقة بالنفس ، فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة ، ويتذكرون أنّ معنى تكوين أسرة هو الوجود في بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات)^(٢٣٨).

وقد دلت الدراسات على دور الخلافات والصراعات داخل الأسرة في جنوح الأطفال والمراهقين ، ومن هذه الدراسات:

دراسة أجريت على ٧٩٨ جانحاً في الولايات المتحدة الأمريكية من نزلاء المؤسسات الإصلاحية اظهرت أنّ ٥٠/٧% أتوا من أسر متصدعة ، وأنّ ٥٠/٥% من نزلاء المدارس الإصلاحية في بريطانيا واسكتلندا أتوا من بيوت متصدعة. وان احصاءً قام به أحد باحثي المانيا الغربية على ١٤٤ من المجرمين الأحداث بيّن انهم جميعاً ينتمون إلى أسر متصدعة.

وأجرى باحث فرنسي في باريس دراسة على الأحداث المنحرفين ، فتبين أنّ ٨٨% منهم كانت أسرهم متفككة)^(٢٣٩).

والخلافات والصراعات عموماً تسلب الأمن والطمأنينة من الأطفال ، وتجعلهم يعيشون في دوامة من القلق والاضطراب خشية من تطورها إلى طلاق أو قتل ، اضافة إلى تأثير المواقف المتشنجة على سلوكهم حيث انهم يحاكون الوالد أو الوالدة في ممارساتهما كاستخدام الألفاظ البذيئة أو التحقير أو الضرب ، وبالتالي فإنها تؤدي إلى أمراض نفسية وإلى اضطرابات سلوكية.

ومن أجل الوقاية من الخلافات والصراعات بين الزوجين أو الوالدين أو التقليل من تأثيراتها النفسية والعاطفية والسلوكية أو تحجيمها؛ وضع أهل البيت (عليهم السلام) منهجاً متكاملأ ازائها ، ووضع لكل من الزوج والزوجة حقوقاً وواجبات من شأنها تقليل الخلافات وحصرها في دائرة المعقول الذي لا يؤثر سلباً على العلاقات شأنه شأن بقية الخلافات في الآراء والتصورات.

(٢٣٨) مشاكل الآباء في تربية الأبناء: ٤٥.

(٢٣٩) الأحداث المنحرفون، للدكتور علي محمد جعفر: ٦٠، ٦٢.

وإضافة إلى مراعاة الحقوق والواجبات فإن إرشادات أهل البيت (عليهم السلام) العامة المرتبطة بحسن التعامل وحسن المعاشرة ومداواة الآخرين ، إضافة إلى الوصايا والتعليمات حول التعاون والتآزر والتكافل والحلم والصبر ، فإنها جميعاً تساهم في التقليل من الخلافات والصراعات ، وجعلها ايجابية تكاملية بحيث لا تؤثر على سير العلاقات.

وحتّى أهل البيت (عليهم السلام) على العودة إلى المودّة أن حدث خلاف أو شجار ، فتجاوزه أو إيقافه أفضل من الاستمرار عليه.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « خير نساكم التي ان غضبت أو أغضبت قالت لزوجها: يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتّى ترضى عني »^(٢٤٠).

ومن المحفزات على تجنب الخلافات والصراعات أن جعل الإمام محمد الباقر (عليه السلام) رضا الزوج على زوجته شفعاً لها عند الله تعالى ، وهذا من شأنه تمرين الزوجة على ارضاء زوجها ، وهو الكفيل بالوقاية من الخلافات المتشنجة.

قال (عليه السلام): « لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها، ولمّا ماتت فاطمة (عليها السلام) قام عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: اللهم إني راض عن ابنة نبيك، اللهم أنّها قد أوحشت فأنسها »^(٢٤١).

ويمكن للزوجة إنهاء التوترات وإيقاف الصراعات المتشنجة بالصبر والتحمل ، فلا تقابل الأذى بالأذى والإساءة بالإساءة ، لأنّ المقابلة بالمثل تؤجج نار الصراع ، وإنّ الصبر أو اللين أو الرقة في التعامل يعيد العلاقات إلى منطقتها الهادئ ، ويجعل الزوج يتراجع عن مواقفه الخاطئة.

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « وجهاد المرأة ان تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته »^(٢٤٢).

وفي المقابل حتّ (عليه السلام) الزوج على تحمل الإساءة الصادرة من الزوجة؛ لأنّ تحملها غالباً ما يؤدي إلى تراجع الزوجة عن موقفها وعودة الحياة الهادئة لأجواء الأسرة ، أو على الأقل ان تحمل الإساءة لا يجعلها تستشري أو تتطور إلى مواقف متشنجة.

قال (عليه السلام): « من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبتة من النار وأوجب له الجنة »^(٢٤٣).

(٢٤٠) مكارم الأخلاق: ٢٠٠.

(٢٤١) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٥٧.

(٢٤٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٧.

(٢٤٣) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

وكانت سيرة أهل البيت (عليهم السلام) قائمة على تجنب المشاكل وتجنب الخلافات المتشنجة وتجنب الصراعات ، فعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: « كانت لأبي (عليه السلام) امرأة، وكانت تؤذيه، وكان يغفر لها »^(٢٤٤).

وتجنب الخلافات والصراعات يجعل المحبة والمودة حاکمة على العلاقات ، وهي كفيلة بإنجاح العملية والمسؤولية التربوية سواء كانت موجهة إلى الأطفال أو موجهة إلى جميع أفراد الأسرة بما في ذلك الوالدين ، فالوالد يتقبل الرأي السديد ان كان صادراً من الوالدة وبالعكس مادام الود والحب هو الحاكم ، والعكس صحيح فإنّ التعصب للرأي والتعصب للموقف والسلوك وللممارسة يكون قائماً في أجواء الخلافات والصراعات المتشنجة.

التحذير من الطلاق

الطلاق ليس انهاءً لعلاقة بين رجل وأمرأة فقط بل هو هدم كيان وهدم وحدة اجتماعية أريد لها أن تقوم على علاقات المودة والمحبة والرحمة ، وهذا الهدم ينعكس سلبياً على الزوجين وعلى أطفالهما ، حيث يؤثر على الأوضاع النفسية لهم ، وعلى التوازن العاطفي ، ويخلق أجواءً قد تؤدي إلى الانحراف التام من قبل الأطفال.

والطفل الذي ينفصل والداه أو يهجر أحدهما الآخر يشعر بالحرمان الحقيقي لأثره يحتاجهما معاً ، ويحتاج الى حبهما معاً وبالتساوي ، وإذا تبع الطفل أحد الوالدين وتخلّى الآخر عنه فإنه يشعر بالكره والسخط لذلك المتخلّي عنه (وتتكون في نفسه عقدة تقلل من ثقته بالناس بصورة عامة ، ويصبح موقفه العام من الآخرين موقف التوجس وعدم الثقة ، والأكثر خطورة من ذلك احتقاره لنفسه حيث يراها غير جديرة بالحب والحنان... ان كرامة الطفل الذاتية ومفهومه لذاته تصاب بالتصدع ، فهو يفترض أنّه إذا كان ابناً لأب أو أم هارب أو هاربة من المسؤولية ، فلا بد أن يكون فيه نصيب من الحقارة)^(٢٤٥).

ومن التقارير المهمة في هذا الموضوع تقرير مؤسسة اليونسكو في هيئة الأمم المتحدة ، وقد جاء فيه: (ان حرمان الطفل من أبيه - وقتياً كان أم دائماً - يثير فيه كآبة وقلقاً مقرونين بشعور الإثم والضغينة ، ومزاجاً عاتياً متمرّداً ، وخوراً في النفس ، وفقداناً لحس العطف العائلي.

وقد لوحظ في معاهد الأطفال أنّه إذا كانت صحة الطفل البدنية ، ونموه العضلي ، وضبط دوافعه الإرادية تتفتح وتزدهر بصورة متناسقة في تلك المعاهد ، فإنّ انفصاله عن

(٢٤٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٩.

(٢٤٥) مشاكل الآباء في تربية الأبناء: ٣٥٥.

والديه قد يؤدي من جهة أخرى الى ظهور بعض المعايير كصعوبة النطق ، وتمكن العادات السيئة منه ، وصعوبة نمو حسه العاطفي^(٢٤٦).

وقد وجد creer أنّ هنالك ٦٠% من أرباب الشخصيات المضادة للمجتمع ، قد فقدوا أحد الأبوين خلال سنوات الطفولة^(٢٤٧).

ويرى الباحث النفساني الاجتماعي (بولبي): (ان الحرمان العاطفي والبعد عن الأم أو الأب ، والأسرة المشتتة أي المهملشة بالفراق أو الطلاق أو الموت أو الحوادث تحدث في الطفل اضطراباً نفسياً ، وخصوصاً إذا وقع هذا الحرمان في السنوات الخمس الأوليات من حياة الطفل)^(٢٤٨).

وقد دلت المشاهدات على أنّ العيادات النفسية تزدهم بالأطفال الذين لايتكيفون مع المجتمع وانّ من بين أسباب عدم تكيف الطفل مع المجتمع اختفاء الأب من حياته رغم أنّه موجود^(٢٤٩).

وقد وجد الباحثون أنّ الحرمان الكلي من الأم ومصدره الطلاق يؤدي الى عدم القدرة على التوافق الاجتماعي وحدوث تصدع في بناء الشخصية ، ومن أعراضه الشعور بالكآبة ثم اليأس والانسحاب ثم الرفض للآخرين^(٢٥٠).

ويرى الباحثون: ان فقدان الأم يمثل فقدان الأمان ، بينما فقدان الأب يمثل فقدان القدرة ، وفقدان الاثنين يمثل فقدان القدرة على تكوين الضمير لدى الطفل ، لأن تكوين الضمير عملية تقمص وامتصاص لقيم الوالدين وبدونهما يكون الطفل ضحية الاضطرابات النفسية والجروح نتيجة ضعف تكوين الضمير اللاشعوري^(٢٥١).

ودلت معظم الدراسات أن الأطفال الجانحين قد تربوا في بيوت محطمة بالإنفصال أو الهجر أو الطلاق أو موت أحد الوالدين.

وهناك مشاكل عديدة يواجهها الأطفال الذين عاشوا مع زوج الأم أو زوجة الأب تؤدي بهم الى ان يعيشوا القلق والاضطراب والتمرد على الواقع أو على القوانين أو الآداب العامة للسلوك.

(٢٤٦) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث: ٣٧.

(٢٤٧) سيكولوجية الجنوح، للدكتور عبد الرحمن عيسوي: ٣٧، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢٤٨) السلوك الإنساني، للدكتور فخري الدباغ: ٧٨، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٨٦م.

(٢٤٩) حديث الى الأمهات، للدكتور سيوك: ١٢٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

(٢٥٠) أضواء على النفس البشرية: ٣٠٢.

(٢٥١) المصدر السابق: ٣٠٣.

ولآثار الطلاق السلبية على التربية العامة وعلى السلوك الإنساني الأسري والاجتماعي حدّر أهل البيت(عليه السلام) من الطلاق مهما كانت أسبابه وعوامله ، ومانظام الحقوق والواجبات إلا لجعل العلاقة بين الزوجين دائمة ومستمرة لاتتصدع ولا تنتهي.

وحول مبعوضية الطلاق وردت عدة روايات للحيلولة دون وقوعه.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « انّ الله عزّ وجلّ يحب البيت الذي فيه العرس، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، ومامن شيء أبغض الى الله عزّ وجلّ من الطلاق »(٢٥٢).

وقال أيضاً: « مامن شيء ممّا أحله الله عزّ وجلّ أبغض اليه من الطلاق وانّ الله يبغض المطلق الذوّاق »(٢٥٣).

وقال أيضاً: « سمعت أبي(عليه السلام) يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يبغض كل مطلق ذوّاق »(٢٥٤).
وعنه(عليه السلام) قال: « بلغ النبي(صلى الله عليه وآله) أنّ أبا أيوب يريد أن يطلق امرأته، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): انّ طلاق أم أيوب لحوب »(٢٥٥).

ولعرقلة الطلاق اتبع أهل البيت(عليهم السلام) أحكام القرآن وحثوا على تقريرها في الواقع ، ومن هذه الأحكام السعي في المصالحة قبل الطلاق ببعث حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة ، ومسألة الحكمين تساهم غالباً في إعادة الانسجام أو التوافق بين الزوجين ، أو على الأقل منح فرصة أخرى للعودة الى الحياة الزوجية والتخلي عن الطلاق.

ووضع أهل البيت(عليهم السلام) قيوداً على الحكمين ، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام):
« ليس للحكمين أن يفرقا حتى يستأمر الرجل والمرأة، ويشترطا عليهما إن شئنا جمعنا، وإن شئنا فرّقنا، فإنّ جمعا فجائز، وإن فرّقا فجائز »(٢٥٦).

ووضع أهل البيت(عليهم السلام) شروطاً في الطلاق للحيلولة دون وقوعه فلايصح طلاق السكران ، ولاطلاق غير القاصد ولا الطلاق بالكتابة ، ولا الطلاق بغير شهود.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « ليس طلاق السكران بشيء »(٢٥٧).

وقال الإمام الباقر(عليه السلام): « لاطلاق إلا لمن أراد الطلاق »(٢٥٨).

(٢٥٢) الكافي ٦: ٥٤.

(٢٥٣) الكافي ٦: ٥٤.

(٢٥٤) الكافي ٦: ٥٥.

(٢٥٥) الكافي ٦: ٥٥.

(٢٥٦) تهذيب الأحكام ٨: ١٠٣.

(٢٥٧) الكافي ٦: ١٢٦.

(٢٥٨) تهذيب الأحكام ٨: ٥١.

وعن زرارة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) رجل كتب بطلاق امرأته ثم بدا له فمحاها ، قال: « ليس ذلك بطلاق حتى يتكلم به » (٢٥٩).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من طلق بغير شهود فليس بشيء » (٢٦٠).

وقال الإمام عليّ الرضا (عليه السلام): « طلق عبد الله بن عمر امرأته ثلاثاً، فجعلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) واحدة وردّها الى الكتاب والسنة » (٢٦١).

ويأتي الطلاق كعلاج نهائي للصراعات الدائمة ، وإذا حدث الطلاق فمنهج أهل البيت (عليهم السلام) قد وضع برنامجاً للحقوق والواجبات أيضاً ووضع برنامجاً في حضانة الطفل وتربيته ومراعاة حقوقه ، وفي منهجهم حتّى على كفالة اليتيم أو كفالة من فقد أحد أبويه لكي لا يشعر بالحرمان من الحنان والعطف.

اختيار المنزل الواسع

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): « خمس خصال من فقد منهنّ واحدة لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب: فأولهنّ صحة البدن، والثانية والثالثة السعة في الرزق والدار، والرابعة الأنيس الموافق، فقيل له: وما الأنيس الموافق؟ قال: الزوجة الصالحة والولد الصالح والخليط الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال الدّعة » (٢٦٢).

الحديث الشريف يدل على أنّ ضيق المنزل يجعل من يعيش فيه ناقص العيش ، زائل العقل ، مشغول القلب ، وهذه أجواء لاتساعد على النمو التربوي السليم ، ففي أجوائها لايتقبل الطفل مايلقن به من إرشادات وتعليمات ، لأنّ أوضاعه النفسية غير مستقرة في منزل ضيق ، فضيق المنزل يمنع الأطفال من اشباع حاجاتهم الى اللعب ، ويمنع من التمتع بالرفاهية ، ويمنع من التمتع بالاستقلالية في غرف خاصة بهم ، وقد يكون ضيق المنزل بدرجة لاتساعد إلا على النوم سوية في لحاف واحد ، وهو من المكروهات.

وقد ينام الأطفال مع والديهم في غرفة واحدة ، ويرافق ذلك بعض المظاهر السلبية كالنظر الى المباشرة الجنسية بين الوالدين ، والى إثارة الغريزة لديهم ، أو يقوم الوالدن بكبت رغباتهم وجميع ذلك يؤدي الى اضطراب الأعصاب والممارسات السلوكية.

(٢٥٩) الكافي ٦: ٦٤.

(٢٦٠) تهذيب الأحكام ٨: ٤٨.

(٢٦١) تهذيب الأحكام ٨: ٥٥.

(٢٦٢) مكارم الأخلاق: ١٩٩.

وضيق المنزل يدفع الوالد أو الوالدة الى استخدام العقوبة البدنية في غير محلها ، وتفرغ غضبه على أولاده.

وحيثما لا يجد الطفل الراحة والهناء في المنزل؛ فإنه سيبحث عن منزل بديل قد يجده في الشارع أو في عصابات الأحداث ، أو يستسلم للمحرفين عند تقديمهم له المغريات. وأقل ما يتركه ضيق المنزل في نفوس الأطفال هو الشعور بالحرمان وعدم التساوي مع الغير ، والمقارنة بينه وبين غيره من أبناء المترفين يؤدي به الى الشعور بالنقص والحقارة أحياناً ، وهذه أجواء مساعدة للانحراف النفسي والسلوكي.

وضيق المنزل عموماً نتيجة طبيعية من نتائج الفقر والعوز ، وقد دلت الروايات على دور الفقر والعسر في الانحراف وفساد الأخلاق إما مباشرة وإما بصورة غير مباشرة ، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

« انّ الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم ».

« العسر يشين الأخلاق ويوحش الرفاق ».

« إن افتقر قنط ووهن ».

« العسر يفسد الأخلاق ».

« الفقر يخرس الفطن عن حجته » (٢٦٣).

وعلى ضوء ماتقدم فإنّ سعة المنزل تخلق أجواءً ايجابية صالحة للاستقرار والاطمئنان النفسي والروحي وكلاهما مقدمة من مقدمات تقبل التعليمات والإرشادات والبرامج التربوية ، ومن هنا فإنّ الروايات الشريفة جاءت لتشجع على اختيار المنزل الواسع؛ حيث قرنت بين هذه السعة وبين السعادة ، وإذا عاش الإنسان سعيداً فإنه سيساهم في انجاح أي مشروع تربوي واجتماعي سواء كان هو المبادر في التربية أو يكون متلقياً؛ حيث ان شعوره بالسعادة يجعله يعيش الشفافية والرقّة والمرونة وتقبل الكلمة الطيبة والتوجيه الصالح والتربية السليمة ، حيث يتوجه اليها بلا اضطراب ولا قلق.

واختيار المنزل الواسع جاء في إرشادات أهل البيت (عليهم السلام) ملازماً للسعادة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « انّ للدار شرفاً وشرفها الساحة الواسعة والخلطاء الصالحون، وإنّ لها بركة وبركتها جودة موضعها وسعة ساحتها وحسن جوار جيرانها » (٢٦٤).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من السعادة سعة المنزل » (٢٦٥).

(٢٦٣) تصنيف غرر الحكم: ٣٦٥.

(٢٦٤) مكارم الأخلاق: ١٢٥، ١٢٦.

(٢٦٥) مكارم الأخلاق: ١٢٥.

وقال أيضاً: « للمؤمن راحة في سعة المنزل »^(٢٦٦).

وسئل أبو الحسن (عليه السلام) عن أفضل عيش في الدنيا؟ قال: « سعة المنزل وكثرة المحبين »^(٢٦٧).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من سعادة المرء حسن مجلسه وسعة فنائه ونظافته متوضاه »^(٢٦٨).

وعن الإمام الصادق عن أبيه الإمام الباقر (عليهما السلام) قال: « قال النبي (صلى الله عليه وآله): من سعادة المرء المرأة الصالحة والمسكن الواسع والمركب البهي والولد الصالح »^(٢٦٩).

وأثر سعة المنزل على سعادة الإنسان من الحقائق الثابتة ، ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) يحث على ذلك ، فإذا كان المجتمع يتبنى الإسلام منهجاً في الحياة فسيكون للتكافل الاجتماعي دور في اشباع هذه الحاجة ، وفي حال عدم تبني الإسلام منهجاً ، وعدم قدرة الرجل على شراء أو إيجار المنزل الواسع فيمكنه أن يطمئن المرأة الزوجة على العمل وبذل الجهد أو تشجيعها وتشجيع الأطفال على الصبر الجميل وما أعدّه الله تعالى لهم من الثواب على هذه المعاناة.

اشباع حاجات الأطفال

هنالك حاجات متعددة لدى الأطفال شأنهم شأن الكبار؛ لا بدّ من اشباعها في الوقت المناسب وفي القدر المناسب ووفق الضوابط العرفية والشرعية ، واشباعها ضمان لتمتع الأطفال بالصحة العقلية والنفسية ، وهي بدورها تساهم في النمو التربوي السليم الذي يجد مرتعه الخصب في الاستقرار والطمأنينة.

وأثبتت الدراسات أنّ (الحاجات تعمل عمل الدوافع فتحركنا نحو السلوك... وفقدان اشباع الحاجات يجعل الفرد يفقد توازنه الجسمي أو النفسي... والحاجة تطلق الطاقة وتضفي قيمة على الأشياء والأحداث)^(٢٧٠).

وفي هذا الصدد قال والتركوفيل: «إنّ إشباع الحاجة أو عدم إشباعها يصاحبها دائماً استجابة إنفعالية ، فإذا اشبعت الحاجة كان الشعور المصاحب ساراً ، وإن لم تشبع يكون غير

(٢٦٦) مكارم الأخلاق: ١٢٥.

(٢٦٧) مكارم الأخلاق: ١٢٥.

(٢٦٨) مكارم الأخلاق: ١٢٦.

(٢٦٩) مكارم الأخلاق: ١٢٥.

(٢٧٠) علم النفس والتربية والاجتماع، للدكتور عبد الرحمن العيسوي: ٣٣، دار الراتب، بيروت، ١٩٩٩م.

سار ، وفي هذه الحالة وبمرور الوقت قد يصبح الإنفعال نفسه مؤدياً لوظيفة الدافع وبالتالي يؤثر دينامياً في السلوك»^(٢٧١).

وقال انطونيني: (إن كلّ احباط يولد توتراً عدوانياً ، وشدة العدوانية تكون موازية ومتناسبة مع شدة الاحباط)^(٢٧٢).

ودلت الدراسات أنّ الأغلبية الساحقة من المجرمين يأتون من بين الاشخاص الذين عاشوا طفولة غير سليمة ، وأنّ السلوك الإجرامي ينتمي الى شخصية مريضة عانت من حرمان عاطفي حقيقي في فترة الطفولة^(٢٧٣).

ودلت الدراسات أيضاً على أنّ (الحرمان في الطفولة يعيق نمو الذكاء)^(٢٧٤).

وإعاقة نمو الذكاء من العوامل المساعدة على الانحراف الفكري والعاطفي والسلوكي. وإذا تتبعنا منهج أهل البيت(عليهم السلام) لوجدناه يراعي حاجات الإنسان وخصوصاً الطفل ، فلا يعطلها ولا يلغيها ولا يحملها مالا تطبيق ، ويتعامل معها كأمر واقعي بحاجة الى اشباع وارتواء.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): «ثلاثة أشياء يحتاج الناس طراً إليها: الأمن والعدل والخصب»^(٢٧٥).

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام): «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقة الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات»^(٢٧٦). فقد أكدّ الإمام(عليه السلام) على أهمية اشباع الحاجات وجعلها أساساً للموفقية في إنجاز الأعمال والفعاليات العبادية والاجتماعية؛ حيث إنّ اشباع الحاجات الضرورية يساهم في استقرار النفس واطمئنائها ، فيتوجه الإنسان بكل جوانب شخصيته لتحقيق مايدعو الى تحقيقه المنهج الإلهي؛ فلا قلق يعيقه ، ولا اضطراب يمنعه ، ولا هاجس يعرقل حركته.

(٢٧١) سيكلوجية السلوك الإنساني: ١٩.

(٢٧٢) العنف والجريمة، للدكتور جليل وديع شكور: ٤٤، الدار العربية للعلوم، بيروت (١٤١٨ هـ).

(٢٧٣) العنف والجريمة: ٤٤، ٤٨.

(٢٧٤) الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، للدكتور إبراهيم الدّر: ١٧٢، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٤ م.

(٢٧٥) تحف العقول: ٢٣٦.

(٢٧٦) تحف العقول: ٣٠٧.

واشباع الحاجات ينبغي أن يكون في حدود متوازنة تحافظ على كرامة الإنسان كما دلت على ذلك أحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « بنس العبد عبد له طمع يقوده، وبنس العبد عبد له رغبة تذله »^(٢٧٧).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « ما أقبح بالمؤمن أن يكون له رغبة تذله »^(٢٧٨).
ومن أهم حاجات الأطفال هي:

أولاً: الحاجة الى المحبة والتقدير

الحاجة الى المحبة حاجة ضرورية وخصوصاً في مرحلة الطفولة ، والحبّ والتقدير الذي يحسّ به الطفل له تأثير كبير على جميع جوانب حياته حيث يكتمل نموه اللغوي والعقلي والعاطفي والاجتماعي ، ويكون أكثر تقبلاً للإرشادات والتوجيهات والنصائح الموجهة إليه من قبل من يحبهم ويحبونه ، فيتعلم قواعد السلوك من والديه ، وعلى الأقل يحاول أن لا يخرجهما أمام المجتمع بسلوك شائن ومخالف للقواعد السلوكية الثابتة ، ويكون حريصاً على عدم إيذائهما في سمعتهما ومركزهما الاجتماعي.

ودلت الدراسات والأبحاث التربوية أن (اشعار الطفل بالحبّ والحنان من أهم العوامل التي تساعد على الطاعة والانقياد للوالدين)^(٢٧٩).

وفي ظل المحبة والتقدير يقلل الإنسان والطفل خصوصاً من ممارسة السلوك المضاد للأسرة والمجتمع؛ لأنّ كثيراً من ألوان ومظاهر الانحراف السلوكي تحدث كرد فعل لعدم المحبوبة والمرغوبة التي يشعرها في أعماق نفسه ، كالسرقة والكذب والعدوان ومتابعة العثرات وبث الإشاعات التي تتوجه جميعها الى من حرموه من الحبّ والتقدير.

وفي ظل المحبة والتقدير لا يبقى مجال للإنشقاق ولا للتعويض عن فقدان أهم حاجاته لأنه ينتعم بها بالشكل المطلوب.

ولأهمية اشعار الطفل بالمحبة بل لأهمية الحبّ بنفسه ، وردت روايات عديدة تحت على ذلك.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده »^(٢٨٠).

(٢٧٧) الكافي ٢: ٣٢٠.

(٢٧٨) الكافي ٢: ٣٢٠.

(٢٧٩) قاموس الطفل الطبي: ٣٢٨.

(٢٨٠) الكافي ٦: ٥٠.

وعنه(عليه السلام) قال: « قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإثمهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم» (٢٨١).

ومن مصاديقه اشعار الطفل بالمحبة التقبيل ، عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: « قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من قبل ولده كتب الله عزّ وجلّ له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة...» (٢٨٢).

ومن مصاديقه ماورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: « قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به...» (٢٨٣).

وحبّ الأطفال للوالدين ردّ فعل لحبّ الوالدين لهما(٢٨٤).

ومن آثار اشباع حاجة الطفل الى المحبة والتقدير:

١ - قيام الطفل بتقليد من يحبهم ويحبونه.

٢ - تفاعله مع الإرشادات والتعاليم الموجهة إليه.

٣ - عدم مخالفة من يحبونه.

٤ - الإطمئنان النفسي والروحي وهو مرتع خصب للنمو التربوي السليم.

٥ - الشعور بأنه محبوب يؤد في نفسه محبة للآخرين ، وهذه المحبة تمنعه من ممارسة

أي عمل أو فعل مضاد للآخرين ، والأهم من جميع ذلك ، أنّ التربية ستكون فاعلة ومؤثرة

إن صدرت مصحوبة بالحبّ والود والتقدير؛ ولا يجد الطفل بل مطلق الإنسان أي غضاضة

في أمر صادر إليه أو نهى عن ممارسة من الممارسات.

والطفل المحروم من المحبة والحنان والتقدير سيبحث عنها خارج المنزل؛ فيقع ضحية

للمنحرفين الذين يمنحونه حباً زائفاً ليوقعوه في براثن الرذيلة والانحراف.

ومن خلال المحبة والتقدير تشبع الحاجات الأساسية الأخرى كالحاجة الى الأمن ،

والحاجة الى الحرية ، والحاجة الى السلطة الموجهة.

(٢٨١) الكافي ٦: ٤٩.

(٢٨٢) الكافي ٦: ٤٩.

(٢٨٣) الكافي ٦: ٥٠.

(٢٨٤) علم الاجتماع، لنقولا الحداد: ٢٥٢، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٢م.

ثانياً: الحاجة الى الرفاهية

الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة؛ فهو روح وعقل وغرائز؛ ولهذا تعددت حاجاته الروحية والمادية، ومن حاجاته في هذين المجالين الحاجة الى الرفاهية، وتزداد هذه الحاجة كلما قرب الإنسان من مرحلة الطفولة والحدثة؛ فهو بحاجة الى المأكل والملبس وسائل الترفيه، وبخاجة الى عصب الحياة وهو المال الذي يصرف من أجل اشباع جميع الحاجات، والحاجة الى الرفاهية خصوصاً.

والرفاهية في المسكن والمأكل والملبس وفي الأمور الفنية والكمالية وفي السفر والنزهة تمنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع، وكذلك الهم والحزن، وتمنع من الانحرافات التي تنجم عن الشعور بالحرمان والدونية، كالسرقة والعدوان على ممتلكات الآخرين وعلى أرواحهم وأعراضهم، وتمنع من الإستسلام للانحرافات لقاء الحصول على المال الضروري في تحقيق الرفاهية.

ورفاهية الأطفال لها الدور الكبير في تهذيب النفس وتطهير الضمير وإشاعة الطمأنينة في داخل النفس، وهي أساس النمو السليم الفكري والعاطفي والسلوكي، وأساس التفوق في أغلب مجالات المعرفة، إضافة الى التفوق في سلم الكمال.

واشباع هذه الحاجات من مسؤولية الأسرة بالدرجة الأولى، وخصوصاً رب الأسرة؛ ولهذا جاءت الروايات الشريفة لتؤكد ذلك.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «من طلب الدنيا حلالاً تعطفاً على والد أو ولد أو زوجة؛ بعثه الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر»^(٢٨٥).

وقال(عليه السلام): «ماغدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوة يطلب فيها لولده وعياله مايصلحهم»^(٢٨٦).

وقال(عليه السلام): «فمن أتاه الله مالا، فليصل القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب، إبتغاء الثواب، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة»^(٢٨٧).

وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام): «صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله»^(٢٨٨).

وقال أيضاً: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمتوا موته»^(٢٨٩).

(٢٨٥) مسند الإمام زيد، لعبد العزيز البغدادي: ٢٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٣٠ هـ).

(٢٨٦) عوالي اللئالي، لمحمد بن عليّ الإحساني ٣: ١٩٤، مطبعة سيد الشهداء قم (١٤٠٥ هـ).

(٢٨٧) نهج البلاغة: ١٩٨.

(٢٨٨) تحف العقول: ٣٣٠.

ولا تحقق الرفاهية إلا بالتكافل الاجتماعي والتعاون بين الناس لإنهاء الفقر والعوز بالصدقة والهدية والإنفاق.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من أحب الأعمال إلى الله عز وجل اشباع جوعة المؤمن وتنفيس كربته وقضاء دينه » (٢٩٠).

وقال (عليه السلام): « أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) » (٢٩١).

وقال (عليه السلام): « خياركم سمحواؤكم وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان والسعي في حوائجهم » (٢٩٢).

ومن وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام): « اعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والساكنين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم... واکرموا الضيف، واحسنوا إلى الجار » (٢٩٣).

وتحقيق الرفاهية من مسؤولية الدولة الإسلامية ومن واجباتها تجاه الناس عموماً والمسلمين خصوصاً.

أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام): مخنف الأزدي وقد بعثه على الصدقة فقال: « يامخنف بن سليم، إنَّ لك في هذه الصدقة نصيباً وحقاً مفروضاً، ولك فيها شركاء فقراء ومساكين وغارمين ومجاهدين وأبناء سبيل ومملوكين ومتألفين، وإنَّا موفوك حقك فوفهم حقوقهم، وإلا فانك من أكثر الناس يوم القيامة خصماء، وبؤساً لأمري أن يكون خصمه مثل هؤلاء » (٢٩٤).

وكتب (عليه السلام) إلى أحد ولاته: « وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلات، ومافضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا » (٢٩٥).

وتركيز أهل البيت (عليهم السلام) على التكافل الاجتماعي لإشباع حاجات الناس إلى الرفاهية؛ لأنها عامل هام من عوامل تهيئة الأرضية الصالحة لنمو المنهج التربوي، حيث إنَّ الإنسان سيتوجه بجميع جوارحه نحو المفاهيم والقيم الصالحة التي أريد لها أن تكون

(٢٨٩) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٨.

(٢٩٠) مكارم الأخلاق: ١٣٥.

(٢٩١) مكارم الأخلاق: ١٣٦.

(٢٩٢) مكارم الأخلاق: ١٣٦.

(٢٩٣) البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٠٨، دار الفكر، بيروت (١٤٠٢ هـ).

(٢٩٤) دعائم الإسلام، للنعمان بن محمد المغربي ١: ٢٥٢، دار المعارف، القاهرة (١٣٨٥ هـ).

(٢٩٥) نهج البلاغة: ٤٥٨.

حاكمة على أفكاره وعواطفه وممارساته ، وستمنعه من الإنزلاق وراء الانحرافات التي يسببها الفقر والعوز والحرمان.

ثالثاً: الحاجة الى اللعب

اللعب استعداد فطري يتعدل بفعل البيئة الاجتماعية ، وقد تعددت الآراء حوله ، فثور نديك اعتبر اللعب غريزة ، ويرى سبنسر أنّ وظيفة اللعب هي التخلص من الطاقة الزائدة ، ويرى كارل جروس أنّ اللعب وظيفة بيولوجية هامة وهي الإعداد للعمل الجدي ، ومن خلاله يكتسب الإنسان المهارة ومعرفة الأشياء ، والشعور بالقدرة ، ويرى ستانلي هول أنّ اللعب تلخيص للماضي حيث إنّ كل الألعاب تمثل أدواراً مختلفة في تاريخ الإنسانية ، وهناك من يرى أنّ اللعب منفذ للتنفيس عن الإنفعالات المحبوسة ، وهناك النظرية التحليلية أو التعويضية التي ترى أنّ اللعب يهيّئ مجالا لإعادة التوازن لحياة الأطفال^(٢٩٦).

ومهما تعددت الآراء إلا أنها تتفق على أنّ اللعب حاجة ، ولا يمكن أن نتصور طفلا لايلعب ، وللعب فوائد متعددة للطفل وهو ضروري للطفل في جميع مراحل الطفولة وخصوصاً المرحلة الاولى وهي مرحلة ما قبل المدرسة.

والطفل يتعلم عن طريق اللعب (عادات التحكم في الذات والتعاون والثقة بالنفس... وزيادة قدراته الاجتماعية في التعامل مع الآخرين ممّا يؤثر على نمو ذكائه الاجتماعي... والألعاب تضيف على نفسيته البهجة والسرور ، وتنمي من مواهبه وقدراته على الخلق والإبداع)^(٢٩٧).

ومن خلال اللعب يتحقق (النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والإنفعالي للطفل ، ويتعلم الطفل من خلاله المعايير الاجتماعية ، وضبط الإنفعالات والنظام والتعاون... ويشبع حاجات الطفل مثل حب التملك... ويشعر الطفل بالمتعة ويعيش طفولته)^(٢٩٨).

ولأهمية اللعب جاءت الروايات لممارسة اللعب بحرية.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « يرعى الطفل سبعا ويؤدّب سبعا ويستخدم سبعا »^(٢٩٩).

(٢٩٦) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، للدكتور عبد العزيز القوصي: ٢٢٣ الى ٢٣٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٢٩٧) قاموس الطفل الطبي: ٢٢١، ٢٢٢.

(٢٩٨) العلاج النفسي الجماعي للأطفال، لكامليليا عبد الفتاح: ١٦٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م.

(٢٩٩) مكارم الأخلاق: ٢٢٣.

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا والزمه نفسك سبع سنين، فإن فُتح وإلا فلا خير فيه» (٣٠٠).

وفي رواية عنه (عليه السلام): «احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين، ثم أدبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلا فخلّ عنه» (٣٠١).

والروايات تؤكد على أنّ مرحلة ما قبل الثامنة من العمر هي مرحلة اللعب، وتؤكد أيضاً على منح الحرية للطفل في لعبه دون ضغط أو اكراه، فهو الذي يختار وقت اللعب أو نوعه أو أسلوبه؛ لأنّ أفضل أنواع اللعب لدى الطفل هو اللعب الذي يختاره بنفسه أو يكتشفه بنفسه، فالحرية ضرورية مادامت لا تتنافى الأخلاق العامة ولا خطورة فيها على الطفل أو على غيره.

والحرية في اللعب لا تعني عدم مشاركة الوالدين أو أحدهما مع الطفل، بل إنّ المشاركة لها نتائجها الإيجابية على الطفل، وقد دلت الدراسات على (أهمية مشاركة كل أب طفله في اللعب... فهذا يساعد على تنمية مواهبه وقدراته؛ هذا ما أكدّه الطبيب الأمريكي ميشيل يوجمان أستاذ طب الأطفال بالمركز الطبي التابع لجامعة بوستون الأمريكية).

وأثبتت الدراسات التي أجراها... أن لعب الأب مع الطفل من أهم العوامل لتنمية قدرات الطفل وأهمها أن يصبح مستقلاً وقوي الشخصية (٣٠٢).

وأفضل طرق المشاركة في اللعب أن يتكلم الوالدان مع الأطفال بالكلمات والعبارات التي يفهمونها والمتناسبة مع مستواهم اللغوي والعقلي، وبمعنى آخر أن يتصرف معه وكأنّه طفل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان عنده صبي فليتصاب معه» (٣٠٣).

وأكد علماء التربية على هذه الحقيقة، ومنهم موريس تي يش حيث يقول: (يجب أن تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء، أن تعملوا معهم، أن تشاركوهم في اللعب... أن تتحدثوا معهم بعبارات الودّ والصداقة.. أن الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها) (٣٠٤).

(٣٠٠) مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

(٣٠١) مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

(٣٠٢) قاموس الطفل الطبي: ٢٢٢.

(٣٠٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣١٢.

(٣٠٤) الطفل بين الوراثة والتربية ٢: ٩٧.

وينبغي تشجيع الطفل إن صدرت منه ممارسات واعية وهادفة ومنسجمة مع المفاهيم والقيم النبيلة . عن صفوان الجمال قال: «أقبل أبو الحسن موسى وهو صغير ومعه عناق مكية ، وهو يقول لها: اسجدي لربك ، فأخذه أبو عبد الله (عليه السلام) وضمّه إليه...»^(٣٠٥).
واللعب وسيلة من وسائل معرفة نفسيات الأطفال ، فالطفل من خلال اللعب يعبر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها ، ويعبر عن رغباته وأمنيته ، ويعبر عن ميوله المكبوتة ، وعن رأيه بوالديه وإخوانه والآخرين ، وهو وسيلة لمعرفة طاقات الطفل واستعداداته العقلية والعلمية والاجتماعية ، ولهذا فإن مراقبة الأطفال أثناء اللعب دون أن يشعروا لها نتائجها الإيجابية في تشخيص أوضاعهم النفسية والخلقية والاجتماعية والعقلية ، ومن خلال هذه المعرفة يتم التوجيه والإرشاد والتربية.

رابعاً: الحاجة الى الجنس

تبقى الغريزة الجنسية كامنة في أعماق الطفل لنموها البطيء ولإنشغال الطفل بأعمال وممارسات ونشاطات عديدة ، وهي في جميع الأحوال والظروف متوقفة على التربية الجنسية السليمة وعلى وعي الوالدين والمربين في الأجوبة المقنعة على تساؤلات الطفل الجنسية ، ومتوقفة أيضاً على عدم الإثارة ، فإذا أثّرت غريزة الطفل الجنسية باستمرار فإن ذلك ادعى الى التفكير فيها ومتابعة مايتعلق بها ، وقد يصل الطفل الى البلوغ قبل أوانه.
وفي حال عدم إثارته فإن الغريزة تبقى كامنة ويقتصر فيها الطفل على حب الاستطلاع الجنسي لاغير ، الى مرحلة البلوغ أو ماقبلها بقليل ، حيث تبدأ الغريزة بالانقراض ، وهناك عوامل ثانوية تساعد على سرعة أو بطء البلوغ الجنسي ومن أهمها (الوراثة ، الصحة الجسدية ، التغذية ، المناخ ، حجم الجسم ، درجة الذكاء ، والوسط الاجتماعي)^(٣٠٦).
وفي مرحلة البلوغ تنقد الغريزة الجنسية ويصبح اشباعها حاجة ضرورية وملحة ، وأمام هذه الحاجة لا يوجد إلا طريقان:

الطريق الأول: الوقاية وتتم عن طريق الخطوات أو المقومات التالية:

- ١ - استشعار الرقابة الإلهية.
- ٢ - استشعار الثواب والعقاب.
- ٣ - تقوية الإرادة.

(٣٠٥) الكافي ١: ٣١١.

(٣٠٦) العلاقات الجنسية مظاهر النمو ومقومات التربية، لشهاب الدين الحسيني؛ ٢٥٧، دار النبلاء، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ٤ - إثارة الوجدان.
- ٥ - تعديل الإستجابة الجنسية ، وتوجيه الشاب الى اهتمامات أخرى.
- ٦ - منع جميع ألوان وأنواع الإثارة الجنسية.

الطريق الثاني: الزواج المبكر

وردت روايات عديدة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته تحت على الزواج المبكر ، حتى جعل رسول الله(صلى الله عليه وآله) تزويج الولد من حقوقه على الوالد فقال: « من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ »^(٣٠٧).

والزواج هو الطريق الوحيد لإشباع الحاجة الى الجنس ، وقد وردت روايات عديدة تحت على تزويج العزّاب.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما »^(٣٠٨).

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « أربعة ينظر الله إليهم يوم القيامة: من أقال نادماً، أو أغاث لهفان، أو اعتق نسمة، أو زوج عزباً »^(٣٠٩).

وقال(رحمهم الله): « من سعادة المرء أن لاتطمث ابنته في بيته »^(٣١٠). وإشباع الحاجة الجنسية يمنع من الانحراف الجنسي ، وأنّ الزواج مقدمة للبناء الصالح ولتغيير النفس ، وقد عبّر عنه رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأنّه إحراز لنصف الدين: « من تزوج أحرز نصف دينه، فليتيق الله في النصف الباقي »^(٣١١).

التوازن في الأساليب التربوية

التوازن والاعتدال ظاهرة إيجابية في جميع المجالات والأصعدة ، وفي مقام التربية ينبغي التوازن في اختيار الأساليب التربوية ، وأن يكون لكل مجال أو موقف حدوده دون افراط أو تفريط ، ولا بد من وضع منهج متوازن في العلاقة مع أفراد الأسرة وفي مقدمتهم

(٣٠٧) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

(٣٠٨) الكافي ٥: ٣٣١.

(٣٠٩) وسائل الشيعة ٢٠: ٤٦.

(٣١٠) الكافي ٥: ٣٣٦.

(٣١١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٣.

الأطفال ، وينبغي أن يكون التصرف معهم من قبل الوالدين متوازناً من حيث اللين والشدّة ، والتساهل والتعنيف .

والتوازن مطلوب في اشباع حاجات الأطفال الأساسية ، كالحاجة الى المحبة والتقدير ، والحاجة الى الرفاهية ، والحاجة الى سلطة ضاغطة أو موجهة ، فالإفراط في المحبة مذموم كالتفريط فيها ، والدلال في جميع مجالات الاشباع مذموم كالإهمال وعدم الاهتمام ، والطفل الناشيء في ظل الحب والحنان الزائد لا يطبق المقاومة أمام تقلبات الحياة ، ومن مصاديق الدلال التلهف والقلق الزائد على الطفل ، فلا يسمح له باللعب كغيره ، والاهتمام به اهتماماً زائداً في حال المرض أو الإصابة بجرح خفيف .

وقد أكدت الروايات على الاعتدال في التعامل مع الطفل ومع مطلق الإنسان المراد تربيته ، ولذا نهت عن الإفراط .

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « شرّ الآباء من دعاه البرّ الى الإفراط... »^(٣١٢) .

وفي حال ارتكاب الطفل لبعض المخالفات السلوكية ينبغي تحكيم التوازن في تربيته ، بالاقناع عن ترك المخالفة برفق ولين ثم هجرانه بتوازن . سئل الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) عن كيفية التعامل مع الطفل ، فقال: « لاتضربه واهجره ولا تطل »^(٣١٣) .

والإفراط في استعمال اللوم والمحاسبة القولية أو العتاب أو العقاب النفسي مذموم ، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « الإفراط في الملامة يشب نيران اللجاج »^(٣١٤) .

والقسوة المفرطة في العتاب والذم والعقوبة تجعل الطفل يشعر بعدم المحبوبة والمرغوبة ، وهذا الشعور يدفعه للانحراف انتقاماً لاشعورياً من القسوة أو اللوم الإفراطي ، وعموماً فإن الإفراط في المحبة والدلال والإفراط في القسوة والعقاب تؤدي الى عدم التوازن النفسي والإنفعالي ، وخلق الاضطراب في شخصية الطفل .

ومن الأخطاء التربوية التذبذب في المعاملة بين اللين والشدّة ، أو القبول والرفض ، وهي من أشد الأمور خطراً على الأخلاق والصحة النفسية ، فإذا بالطفل يثاب على العمل مرة ، ويعاقب عليه مرة أخرى ، وتنفذ مطالبه مرة ، ويحرم منها مرة أخرى دون سبب معقول ، وهذا التذبذب في المعاملة يجعل الطفل في دوامة من القلق والحيرة ، ولا يعينه على تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه وخلقه ، فلا يدري أي عمل صالح وأي عمل طالح ، ولا يدري أي الأعمال يثاب عليها أو يعاقب عليها .

(٣١٢) تاريخ يعقوبي ٢: ٢٢٠ .

(٣١٣) بحار الأنوار ٢٣: ١١٤ .

(٣١٤) تحف العقول: ٨٤ .

وفي بعض الحالات يكون الذم أو التأنيب أو العقوبة حاجة يبتغيها الطفل كما يقول الدكتور سبوك: «إنّ الأطفال في معظم الأحوال يفرحون لأنّ الوالد قد وضع حداً لوقاحتهم»^(٣١٥).

والعقوبة تكون ضرورية لتأديبه وتربيته ، ويرى أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّ العقوبة البدنية بمثابة السماد الذي ينمي الزرع ويوصله الى النضوج ، كما ورد في قوله(عليه السلام): «ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع»^(٣١٦).

والعقاب في رأي الباحثين مثير طبيعي للألم والخوف ، وغالباً مايكون قوة رادعة تكفّ الفرد عن القيام بالسلوك الذي يعاقب عليه ، وتكرار ارتباط الذنب بالعقاب يجعل ارتكاب الذنب ، بل مجرد التفكير في ارتكابه مثيراً شرطياً للخوف والألم من شأنه أن يمنع الحدث عن اقتراف مانتهاه عن عمله^(٣١٧).

وإذا تجاوز الطفل الحدود فتكون عقوبته أكد وأكثر إيقاعاً ، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله(عليه السلام) عن الصبي يسرق قال: « يعفى عنه مرّة ومرتين ويعزر في الثالثة، فإنّ عاد قطعت أطراف أصابعه، فإنّ عاد قطع أسفل من ذلك »^(٣١٨).

وفي جميع الظروف والأحوال فإنّ التوازن في الأساليب التربوية ضرورة تربوية تخلق في نفس الطفل التوازن وتجعله قادراً على تشخيص الصالح من الطالح والحسن من القبيح ، ولهذا أكد أهل البيت(عليهم السلام) على هذا التوازن والاعتدال في التربية فلا إفراط ولا تفريط.

العدالة بين الأطفال

تبدأ بوادرغيرة الطفل الأوّل من الطفل الذي يليه منذ أوّل يوم الولادة ، إذ ينشغل الوالدان بالوضع الطارئ الجديد وينشغل الجميع بسلامة الوالدة والطفل ، فيجد الطفل السابق إهمالاً بعد ما كان يتمتع بالاهتمام والرعاية والرأفة الزائدة؛ وتبدأ مخاوفه من تحول الاهتمام والرعاية الى الطفل الجديد؛ لأنه سيصبح منافساً له في كل شيء وخصوصاً في اهتمام الوالدين به ، وينافسه في منصبه باعتباره الطفل الوحيد سابقاً ، وينافسه في ألعابه.

وتزداد الغيرة يوماً بعد يوم - وخصوصاً في حال عدم الانتباه إليه - وتتحول بالتدريج الى عداء وكرهية للطفل الجديد ، وينعكس هذا العداء على أوضاعه النفسية والعاطفية؛ سواء

(٣١٥) مشاكل الآباء في تربية الأبناء: ٧٥.

(٣١٦) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٢٥.

(٣١٧) أصول علم النفس: ٢٣٠.

(٣١٨) الكافي ٧: ٢٣٢.

أعلن العداء أو أخفاه في مشاعره الباطنية ، ويزداد العداء وعدم الاستقرار النفسي كلما كانت المعاملة مع الطفلين غير عادلة ، ومن العوامل التي تعمق الغيرة ثم الكراهية المقارنة بين الأطفال وتوبيخ أحد الأطفال ومدح غيره ، فتزداد الكراهية والحقد ويتطور بالتدرج باعتماد عملي ، وإذا فشل الطفل في اعتدائه فإنه يبقى في دوامة من القلق والاضطراب والإنطواء . ومن العوامل المؤدية للغيرة المقارنة بين الولد والبنت وتفضيل الذكر على الأنثى ، وتقديمه عليها في كل شيء .

وعلى العموم فإن آثار ونتائج عدم العدالة بين الأطفال خطيرة ووخيمة على الأطفال وعلى الأسرة وعلى المجتمع؛ حيث تساهم في خلق الحسد والكراهية والعدوان والانتقام في النفوس ، وهي مقدمات للانحراف في أغلب المستويات .

والعدالة بين الأطفال بل مطلق العدالة من أوليات منهج أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد جاءت الروايات لتؤكد على تقريرها في الواقع ، وهي مطلقة وشاملة لكل الجوانب الحياتية التي تحيط بالأطفال في جانبها المادي والمعنوي ، فجاءت الروايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لتؤكد على عدم التفريق بين الأطفال والتعامل العادل معهم في مطلق الأمور ومنها: العدالة في التقبيل وإظهار المحبة ، والعدالة في البر واللفظ ، والعدالة في العطاء ، والعدالة في المدح ، والعدالة في الاهتمام والرعاية^(٣١٩) .

والعدالة لاتعني عدم التفضيل بين الأطفال كما ورد عن رفاة الأسدي قال: (سألت أبا الحسن - موسى بن جعفر (عليه السلام) - عن الرجل يكون له بنون وأمهم ليست بواحدة ، أيفضل أحدهم على الآخر؟ قال: « نعم لأبأس به، قد كان أبي يفضلني على أخي عبد الله »)^(٣٢٠) . والتفضيل ينبغي أن يكون مستورا لا يظهره أمامهما ، أمّا في القلب فهو أمر طبيعي ، وأمّا في الواقع العملي فالمناسب أن يظهر العدالة والمساواة في الميل والحب .

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « قال والدي: والله لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبة، وأكثر له الشكر، وإن الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره لنلا يصنعوا به ما فعل بيوسف إخوته »^(٣٢١) .

ووجه أهل البيت (عليهم السلام) الأنظار الى الاهتمام بالبنت ، لأنّ الاهتمام بالابن هو ظاهرة طبيعية ومألوفة ، فأرادوا من ذلك أن لا يقدم الابن على البنت ، وأن لا يفضل عليها لمجرد أنّه ذكر .

(٣١٩) وردت عدة روايات في: الكافي، مكارم الأخلاق، كنز العمال.

(٣٢٠) مكارم الأخلاق: ٢٢١.

(٣٢١) مستدرک الوسائل ١٢: ٦٢٦.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعمة يسأل عنها» (٣٢٢).

وقال له عمر بن يزيد: إن لي بنات ، فقال له: «لعلك تتمنى موتهن، أما أنك لو تمنيت موتهن ومتن لم توجر يوم القيامة ولقيت ربك حين تلقاه وأنت عاص» (٣٢٣).

وينعكس التفريق بين الأطفال وأشعارهم بعدم العدالة على المنهج التربوي ، فالطفل الذي يشعر بها فإنه سينشأ متمرداً على إرشادات وتوجيهات وأوامر ونواهي والديه ، بل يخالفها متعمداً انتقاماً لذاته أولاً ، وفقدانه للثقة بالوالدين ثانياً.

(٣٢٢) مكارم الأخلاق: ٢١٩.

(٣٢٣) مكارم الأخلاق: ٢١٩.

الفصل الخامس

دور القيم المعنوية والنفسية في المجال التربوي

قال سبحانه وتعالى: (وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) (٣٢٤).

الإنسان والمجتمع في تدهور واضطراب وخسران في جميع مقومات الحياة وميادينها ، باستثناء من تكون المفاهيم والقيم الدينية هي الحاكمة على مسيرته وحركته ؛ حيث تحرر تلك القيم الإنسان والمجتمع معاً من جميع العبوديات الفكرية والاجتماعية والتربوية ، وتزرع في الضمير وخلجات النفس وفي الواقع الاستقرار والطمأنينة التي هي أساس الصحة النفسية والخلقية ، وتدفع الى العمل الإيجابي البناء في إصلاح وتغيير النفس والمجتمع ، وأساس القيم المعنوية والنفسية الإيمان بالله تعالى وبإحاطته التامة بالإنسان في حركاته وسكناته ، وهو الذي يجعل الضمير طامعاً في ثواب الله ، وخائفاً من غضبه وعقابه. وأثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة أنّ الابتعاد عن الدين فكراً وسلوكاً هو أساس جميع ألوان الانحراف والانحطاط الفردي والاجتماعي ، ابتداءً بفقدان الصحة النفسية والروحية ، وانتهاءً بالممارسات المنحرفة ، ولهذا نجد أنّ الانحراف يتزايد في المجتمعات غير الدينية التي لا تؤمن بمفاهيمه أولاً وتتبناه منهاجاً لها في الحياة. قال تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (٣٢٥).

والضنك هو الضيق في كلّ شيء ، وهو لازم لمن أعرض عن ذكر الله ، والإعراض يبعد القلب عن الهدوء ، والنفس عن الطمأنينة ، ويجعل الإنسان يعيش الانفلات من الرقابة الذاتية فلا كبح لشهوته ورغباته ونزواته ، فيكون همّه اشباعها بأيّ طريق أمكن دون النظر الى الآثار الوخيمة المترتبة على ذلك.

وبعد هذه المقدمة نوزّع الفصل على مبحثين:

(٣٢٤) العصر : ١ - ٣ .

(٣٢٥) طه : ١٢٣ و ١٢٤ .

المبحث الأول: دور القيم المعنوية في التربية

من خلال إرشادات أهل البيت (عليهم السلام)

القيم المعنوية تشمل: الإيمان بالله ، والإيمان بالثواب والعقاب ، وذكر الله ، وذكر الموت ، والاعتراف بالذنوب ، والاستغفار ، والتوبة ، والرضا بالقضاء. وفيما يلي نستعرضها تباعاً:

١ - الإيمان بالله تعالى

الإنسان مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى ، حيث يبدأ منذ الطفولة بالتساؤل عن نشوئه ونشوء الكون ، وعن العلة من وراء ذلك وإن تفكيره المحدود مهياً لقبول فكرة الخالق والصانع.

والإيمان بالله من (أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل... ممّا سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق ويوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف الآثام)^(٣٢٦). والإيمان بالله حاجة ضرورية ، وفي هذا الصدد قال باسكال: (كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً)^(٣٢٧).

ويرى الفيلسوف المعاصر الدوس هكسلي الله: (لا تستريح البشرية حتى يتجرّد الإنسان من عوائقه ونزعاته ، ولا يكون متجرّداً إلا إذا ارتبط برباط آخر ألا وهو الله)^(٣٢٨).

ويرى عالم النفس السويسري كارل يونج: (إن انعدام الشعور الديني يسبب كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل ، والشعور بعدم الأمان ، والنزوع نحو النزعات المادية البحتة ، كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ، ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضياع) ، وقد استخدم هذا العالم الدين في علاج كثير من مرضاه النفسيين^(٣٢٩).

(٣٢٦) قاموس الطفل الطبي : ص ٢٩٤.

(٣٢٧) دائرة معارف القرن العشرين : ١ / ٤٨٢.

(٣٢٨) نحو إنسانية سعيدة، الدكتور محمد المبارك : ص ١٣٥ ، دار الفكر ، بيروت (١٣٨٩هـ) .

(٣٢٩) دراسات في تفسير السلوك الإنساني، الدكتور عبد الرحمن العيسوي : ص ١٩٣ ، دار الراتب الجامعية ، بيروت (١٤١٩هـ).

وهذه المشاعر وما يرافقها من نزوع نحو النزعات المادية هي أساس الانحراف الفكري والعاطفي والسلوكي وأساس الشرور والآثام ، ولا وقاية إلا بالإيمان بالله تعالى ، ولا علاج إلا بتعميق الإيمان في النفوس.

والإيمان له آثار إيجابية في جميع مقومات النفس والحياة ، ومنها: الصحة النفسية والعقلية والخلقية ، ومن أقوال أمير المؤمنين(عليه السلام) في هذا الصدد:

١ - « من عرف الله سبحانه لم يشق أبداً ».

٢ - « التوحيد حياة النفس ».

٣ - « الإيمان أمان ».

٤ - « من عدم الفهم عن الله سبحانه لم ينتفع بموعظة واعظ ».

٥ - « بالإيمان يستدل على الصالحات »^(٣٣٠).

٦ - « حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان ».

والإيمان بالله تعالى باعث للسلوك القويم ؛ حيث يجعل الخير والصلاح أصيلاً ثابتاً لا عارضاً مزعزعاً ، ومن آثار الإيمان على نفس الفرد هي: التفاؤل ، التفتح ، الطمأنينة ، التمتع بالذات المعنوية ، مقاومة الانحراف ، الصبر على المصائب ، التنافس على عمل الصالحات وغيرها من مقومات الاستقامة وحسن السيرة والسريرة.

ومن آثاره الاجتماعية: احترام القوانين والضوابط الاجتماعية ، تقديس العدالة ، الشعور بالأخوة والمحبة بين الأفراد ، الثقة المتبادلة ، الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية ، التقوى ، الإيثار ، نكران الذات ، تقبل النصيحة والنقد البناء.

ومن هنا فتعميق الإيمان بالله ضروري جداً في تربية الإنسان وخصوصاً في مرحلة الطفولة ، وهو وحده الذي يحصنه من الانحراف ويوجه ضميره وإرادته وسلوكه نحو الاستقامة والصلاح لإيمانه بوجود قوة غيبية تتابعه في حركاته وسكناته.

والإيمان كما جاء في قول الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام): « الإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم ، والإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان »^(٣٣١).

والإيمان التزام واستشعار للرقابة الإلهية ، قال رجل للإمام الصادق(عليه السلام): أوصني ، فقال له: « لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك »^(٣٣٢).

فقال الرجل: زدني ، فقال(عليه السلام): « ما أجد لك مزيداً »^(٣٣٣).

(٣٣٠) تصنيف غرر الحكم : ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ .

(٣٣١) تحف العقول، الحرّاني : ص ٣١٥ .

(٣٣٢) مجموعة ورام : ٢ / ٢٤٦ .

(٣٣٣) المصدر السابق .

وقال (عليه السلام): « خف الله كأنك تراه ، وإن كنت لا تراه فإنه يراك » (٣٣٤).

٢ - الإيمان بالثواب والعقاب

الإيمان بالثواب والعقاب واستشعاره في العقل والضمير هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات ، وهو أكثر إيقاظاً للعقل والقلب والإرادة ؛ حين يوجه الكيان الإنساني الى اليوم الخالد الذي يقف فيه الإنسان أمام من لا تخفى عليه خافية وأمام من يحيط بالإنسان والحياة والكون.

والإيمان بالحياة الأخرى حافز على اصلاح النفس والضمير ، وحافز للتسامي والارتقاء في جميع مقومات الشخصية الإنسانية ، ومقومات الحياة الإنسانية.

ومن أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المجال:

١ - « من أحبّ الدار الباقية لهي عن اللّذات ».

٢ - « من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ».

٣ - « من خاف العقاب انصرف عن السيئات » (٣٣٥).

وجعل الآخرة همماً للإنسان يسهم مساهمة فعالة في اصلاح النفس واصلاح الضمير واصلاح السلوك ، والتفكير المتواصل بالآخرة يحصن الإنسان من المعصية ، وهذه حقيقة ملموسة وواقعية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

١ - « اجعل همك لمعادك تصلح ».

٢ - « من أكثر من ذكر الآخرة قلت معصيته » (٣٣٦).

والإيمان بالثواب والعقاب في دار الدنيا يحرك الإنسان نحو عمل الخير ويوجهه نحو التكامل ، ويردعه عن الباطل والانحراف ، وقد وردت عدة روايات حول السنن المرتبطة بالثواب والعقاب ، نذكر منها على سبيل المثال: قول الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « صلة الأرحام تزكي الأعمال ، وتنمي الأموال ، وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسيء في الأجل » (٣٣٧).

وقال (عليه السلام): « ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب » (٣٣٨).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « إنّ الذنب يحرم الرزق » (٣٣٩).

(٣٣٤) بحار الأنوار، المجلسي : ٦٧ / ٢٥٥.

(٣٣٥) تصنيف غرر الحكم : ص ١٤٦.

(٣٣٦) تصنيف غرر الحكم : ص ١٤٤ و ١٤٥.

(٣٣٧) الكافي، الكليني : ٢ / ١٥٠.

(٣٣٨) الكافي، الكليني : ٢ / ٢٦٩.

وقال(عليه السلام): « من عَيَّر مؤمناً بذنب لم يمت حتّى يركبه »(٣٤٠).

وقال(عليه السلام): « من استشار أخاه فلم يحضه محض الرأي سلبه الله عزّوجلّ رأيه »(٣٤١).

وعن الإمام محمد الباقر(عليه السلام) قال: « وجدنا في كتاب رسول الله(صلى الله عليه وآله): إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا طقف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها ، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان ، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم ، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ، وإذا لم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم »(٣٤٢).

والإيمان بوجود تقييم موضوعي للناس على أساس الثواب والعقاب يسهم في البناء التربوي السليم ، وهو تشجيع للمحسن وردع للمسيء.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ ذلك تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة ، فالزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه أدباً منك ينفكك الله به وتنفع به أعوانك »(٣٤٣).

وقال(عليه السلام): « ازجر المسيء بثواب المحسن »(٣٤٤).

٣ - ذكر الله تعالى

قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (٣٤٥).

اطمئنان القلب يحقق التوازن النفسي والإنفعالي داخل النفس الإنسانية ، وهو أحد أعمدة الصحة النفسية التي تسهم مساهمة فعّالة في إرتقاء الإنسان سلم الكمال والمسيرة الصالحة. وذكر الله يصدّ عن فعل القبيح لاستشعار الرقابة الإلهية المطبقة على حركات الإنسان وسكناته ، فلا يقدم على أي ممارسة مخالفة للموازين الإلهية في السلوك والعلاقات الاجتماعية ، ولا يقدم على أي عمل لا يحرز فيه رضا الله تعالى.

(٣٣٩) الكافي، الكليني : ٢ / ٢٧١.

(٣٤٠) الكافي، الكليني : ٢ / ٣٥٧.

(٣٤١) الكافي، الكليني : ٢ / ٣٦٣.

(٣٤٢) الكافي، الكليني : ٢ / ٣٧٤.

(٣٤٣) تحف العقول، الحرّاني : ص ٨٧ .

(٣٤٤) نهج البلاغة : ص ٥٠١ .

(٣٤٥) الرعد : ٢٨ .

وأول ثمار ذكر الله تعالى الابتعاد عن الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويزين له الإنحراف ، والابتعاد عن الشيطان أو إبعاده عن التأثير مقدمة لإصلاح خلجات النفس ثم الممارسات العملية.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « ذكر الله مطردة الشيطان »^(٣٤٦).

وقال(عليه السلام): « ذكر الله دعامة الإيمان وعصمة من الشيطان »^(٣٤٧).

ولذكر الله تعالى تأثير في علاج الأمراض النفسية ، وهي عامل مساعد للانحراف ، وعلاج النفس يسهم في تقبل منهج الاستقامة والصلاح.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « ذكر الله دواء أعلال النفوس »^(٣٤٨).

وذكر الله تعالى يسمو بسلوك الإنسان بعد صلاح قلبه ومحتواه الداخلي ، وهو صلاح له في السر والعلن.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله »^(٣٤٩).

وقال أيضاً: « من عمّر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السرّ والجهر »^(٣٥٠).

والذاكر لله يذكره الله ، وهذا الذكر له تأثيراته العملية على الشخصية الإنسانية في جميع مقوماتها ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « من ذكر الله سبحانه أحيى الله قلبه ونور عقله ولبّه »^(٣٥١).

ومصاديق الذكر متعددة ومتنوعة لا حدود لها ، وقد وردت عدّة روايات تؤكد على: التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولكل واقعة أو حدث أو قضية ذكر معين ، كالحمد لله ، حسبي الله ، أتوكل على الله ، وغير ذلك.

وهناك مصاديق عملية وواقعية لذكر الله ولتعميق صلة العبد بربه تسهم في ردع الإنسان عن الإنحراف والشرور وتدفعه الى الاستقامة والصلاح ، ومن هذه المصاديق:

أولاً : قراءة القرآن الكريم

القرآن الكريم أحد وسائل الارتباط بالله تعالى ، وهو نور يستضيء به الإنسان ، ففيه منهاج شامل للبشرية جمعاء يعين الإنسان على الاستقامة والتقيد بالموازين الصالحة والضوابط السلوكية السليمة.

(٣٤٦) و (٣) تصنيف غرر الحكم : ص ١٨٨ .

(٣٤٨) تصنيف غرر الحكم : ص ١٨٨ .

(٣٤٩) تصنيف غرر الحكم : ص ١٨٨ .

(٣٥٠) و (٤) المصدر السابق : ص ١٨٩ .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « كفى بالقرآن داعياً » (٣٥٢).

وقال (عليه السلام): « القرآن أفضل الهدايتين ».

وقال (عليه السلام): « ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ; زيادة في هدى ، أو نقصان في عمى » (٣٥٣).

والقرآن الكريم شفاء من جميع الأمراض والعلل النفسية التي تؤدي غالباً الى الانحراف كالوسوسة والقلق والحيرة ; لأنه يوصل القلب بمنعم الرحمة والرأفة فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « أحسنوا تلاوة القرآن فإنه أنفع القصص واستشفوا به فإنه شفاء الصدور » (٣٥٤).

وقال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): « في القرآن شفاء من كل داء » (٣٥٥).

وقراءة القرآن تجعل أجواء المنزل وأجواء الأسرة أجواءً روحانية تتسامى فيها النفوس وتتوجه نحو الاستقامة والصلاح.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه ، تكثر بركته ، وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه ، تقلّ بركته ، وتهجره الملائكة ، وتحضره الشياطين » (٣٥٦).

ثانياً : الدعاء

الدعاء يجعل الإنسان مستشعراً للارتباط بمنعم الوجود والرحمة والرعاية ، وبه تطمئن النفس ويستريح القلب ، ويبقى في علاقة متواصلة مع القوة المهيمنة على الحياة بأسرها ، والتي تحيط به وتراقبه باستمرار.

وبالدعاء يرتقي الإنسان في سلم الصلاح والاستقامة ويبتعد عن الانحراف ، وخصوصاً حينما يتمرن على طلب العون من الله تعالى لإصلاح نفسه وإنقاذها من الانحراف والرديلة. والدعاء بنية خالصة كفيل بتسامي الإنسان وتكامله الروحي والخلقي ، وهذا الأمر لا يحتاج إلى برهان ، لأن فيه تجتمع جميع العوامل المساهمة في السمو والتكامل ومنها:

(٣٥٢) تصنيف غرر الحكم : ص ١١٠.

(٣٥٣) المصدر السابق: ص ١١١.

(٣٥٤) تصنيف غرر الحكم: ص ١١٢.

(٣٥٥) مكارم الأخلاق، الطبرسي : ص ٣٦٣.

(٣٥٦) الكافي ٢ : ٦١٠.

- ١ - الرغبة في الصلاح والسمو والتكامل.
 - ٢ - طلب العون من الله تعالى.
 - ٣ - استجابة الله تعالى لطلب عبده ، لإخلاصه في الطلب ، وانسجام طلبه مع المنهج الإلهي.
- قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « لا والله لا يلح عبد مؤمن على الله عز وجل في حاجته إلا قضاها له » (٣٥٧).
- والدعاء شفاء من كل داء ، وخلو النفس من الداء يسهم في إصلاحها وتقبلها للإرشاد والتوجيه الصالحين.
- قال الإمام الصادق (عليه السلام): « عليك بالدعاء ، فإن فيه شفاءً من كل داء » (٣٥٨).
- وأكد أهل البيت (عليهم السلام) على المداومة على الدعاء فهو بنفسه إصلاح للنفس والضمير وتهذيبهما ، وقد أثبتت التجارب التربوية أنّ الأحداث الذين ترعرعوا في أجواء مليئة بذكر الله بالدعاء وغيره أكثر استقامة من غيرهم وأقل انحرافاً.

ثالثاً : العبادة

العبادة رابطة روحية تربط الإنسان بالمطلق وعالم الغيب والمعنويات ، وبها يتصل القلب بمنعم الوجود اتصالات متنوعة ، وهذه الاتصالات تجعله يستشعر الرقابة الإلهية فلا يجرأ على الانحراف ، ويتوجه نحو الاستقامة.

وأبرز مصاديق العبادة الصلاة وهي حصن حصين من الانحراف بعد اندحار الشيطان بواسطتها.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « الصلاة حصن الرحمن ، ومدرحة الشيطان ».

وقال (عليه السلام): « الصلاة حصن من سطوات الشيطان » (٣٥٩).

والصلاة بأركانها تحرك الإنسان نحو الصلاح والاستقامة ، كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): « والسجود النفساني فراغ القلب من الفانيات ، والإقبال بكنه الهمة على الباقيات ، وخلع الكبر والحمية ، وقطع العلائق الدنيوية ، والتحلي بالخلائق النبوية » (٣٦٠).

وهي كما قال (عليه السلام): « الصلاة صابون الخطايا » (٣٦١).

(٣٥٧) الكافي ٢ : ٤٧٥.

(٣٥٨) مكارم الأخلاق: ص ٢٧١.

(٣٥٩) و (٢) تصنيف غرر الحكم: ص ١٧٦.

وهي تمنح الإنسان فرصة العودة إلى الاستقامة ، وخصوصاً صلاة الليل ، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار »(٣٦٢).

والصلاة من أفضل العبادات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر كما أكد الكتاب الكريم والروايات ، ثم يأتي دور الصوم ثم الحج الى آخره من ألوان العبادات ، وجميعها تسهم في التربية الصالحة السليمة ، ولهذا حث أهل البيت(عليهم السلام) على أدائها وخصوصاً العبادات المستحبة المنصوصة من قبل رسول الله(صلى الله عليه وآله).

٤ - ذكر الموت

ذكر الموت له دور هام في ضبط النفس والردع عن عمل القبيح ، فإنّ ذكره الدائم باللسان بعد استشعاره بالوجدان يوجه الأنظار الى تلك الحقيقة التي تنهدم فيها الشهوات واللذات ، ويصبح الإنسان من خلالها رهين القبر بانتظار الثواب والعقاب ، فيتوجه الإنسان بجميع جوارحه نحو المثل والقيم العليا ليجسدها في واقعه السلوكي والخلقي.

ومن آثار ذكر الموت كما وردت عن أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - « من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ».

٢ - « من ذكر المنية نسي الأمنية ».

٣ - « أبلغ العظات النظر إلى مصارع الأموات والاعتبار بمصاير الآباء والأمهات »(٣٦٣).

والترفع عن أمور الدنيا المادية يجعل الإنسان يعيش في أجواء المعنويات والمثل الصالحة ، فلا تنافس على حطام الدنيا ولا صراع من أجل إشباع الرغبات ، ولا اعتداء على ممتلكات الناس ، وله دور في إزالة أسباب الحسد والطمع والأنانية والحقد وغير ذلك من الأمراض النفسية والخلقية.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « ذكر الموت يميّث الشهوات في النفس ، ويقطع منابت الغفلة ، ويقوّي القلب بمواعد الله ، ويرقّ الطبع ، ويكسر أعلام الهوى ، ويظفي نار الحرص ويحقر الدنيا »(٣٦٤).

(٣٦١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٢٠ / ٣١٣.

(٣٦٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق : ١ / ٢٩٩.

(٣٦٣) تصنيف غرر الحكم: ص ١٤٦ ، ١٦٢.

(٣٦٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني : ٨ / ٢٤٢.

وحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) على الإكثار من ذكر الموت لدوره في إصلاح النفس وسموها ولكي تستعد لما بعده فقال: «أكثر ذكر الموت وما تهجم عليه وتفضي إليه بعد الموت حتى يأتيك وقد أخذت له حذرک ، وشدت له أزرک ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك».

وقال (عليه السلام): «رحم الله امرءاً بادر الأجل ، وأكذب الأمل ، وأخلص العمل» (٣٦٥).

وقد أثبتت الدراسات الميدانية أنّ الأجواء الاجتماعية التي يكثر فيها ذكر الموت وما بعده من أهوال وصعاب أو ثواب ونعيم ، أقرب للصالح والاستقامة من غيرها من الأجواء ، ولا غرابة أن نجد المجتمعات غير الإسلامية مبتلاة بالكثير من الانحرافات والجرائم لإبتعادها عن هذه المفاهيم والقيم.

٥ - الاعتراف بالذنب

الاعتراف بالذنب له دور كبير في تهذيب النفس وإصلاحها وفي تشخيص أسباب القلق والاضطراب النفسي ، ولا تبقى تلك الأسباب ضاغطة على العقل والقلب والإرادة ، وبه يشكو الإنسان من نفسه الأمارة بالسوء طلباً لما يلي:

١ - إزالة مشاعر الذنب والإثم.

٢ - التخفيف من عذاب تأنيب الضمير.

٣ - إعادة الإطمئنان للنفس المضطربة.

٤ - التصميم على عدم تكرار الذنب.

٥ - التفكير في الاستقامة من جديد.

وقد استخدم العلاج النفسي أسلوب الاعتراف للوصول الى الصحة النفسية للمريض بعد الاطلاع على الأمور المكبوتة والمخزونة في اللاشعور ، وفي أثناء جلسات العلاج يسترخي المريض ويطلق العنان لذكرياته كي تفيض وتطفو فوق سطح الشعور ، ومن طرق العلاج طريقة التطهير النفسي أو التفريغ الإنفعالي وهي (تصريف الشحنة الإنفعالية الحبيسة داخل صدر الإنسان أو الإفصاح عما يجثم على صدر المرء من الهموم والآلام والمشاعر والمشاكل والصراعات والتوترات والضغوط ، وهذه العملية تسبب للفرد الشعور بالارتياح... وتؤدي إلى إزالة أو إضعاف العقد النفسية أو الى تقليل التوترات الإنفعالية الناجمة من الصراعات...) (٣٦٦).

(٣٦٥) تصنيف غرر الحكم: ص ١٦٢.

(٣٦٦) فن الارشاد والعلاج النفسي: ص ١٠٠ ، ١٠١.

وإذا كان المذنب أو المنحرف لا يعترف لإنسان مثله بذنبه أو انحرافه إلا بصعوبة بالغة ؛ فإنه يعترف أمام الله تعالى بها دون حرج أوحياء لأنه يقف أمام واهب الرحمة والمحيط بسكنات النفس وخفاياها ، وهذا الاعتراف يكون مقدمة لصلاح النفس ثم صلاح السيرة العملية ، فلا تلاحقه بعدها الهموم والضغوطات النفسية.

ومن الآثار الإيجابية للاعتراف كما ذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام)حيث قال:

- ١ - « شافع المذنب إقراره ، وتوبته اعتذاره ».
- ٢ - « من اعترف بالجريمة استحقَّ المغفرة ».
- ٣ - « عاص يقرّ بذنوبه خير من مطيع يفتخر بعمله ».
- ٤ - « من أحسن الاعتذار استحقَّ الغفران »^(٣٦٧).

٦ - الاستغفار

الاستغفار مفهوم إسلامي ينتقل بالإنسان من مرحلة الوقوع في الانحراف إلى مرحلة تجاوزه والعودة إلى الهداية والاستقامة ، وهو نقلة نوعية في مسيرته وحركته الفردية والاجتماعية ، فالنفس الإنسانية حين ترتكب الخطيئة يخلت توازنها وتماكسها ، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس ، فيجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس فيقودها إلى الانحراف تلو الانحراف ، ولكن الاستغفار يردّها إلى الاستقامة ويقوي صلتها بالله تعالى.

والاستغفار علاج واقعي للانحراف ويسهم في إجنثاث آثاره السلبية على القلب والإرادة ، وهو الدواء كما جاء في عبارات أهل البيت(عليهم السلام).

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « الاستغفار دواء الذنوب ».

وقال(عليه السلام): « الذنوب الداء ، والدواء الاستغفار ، والشفاء أن لا تعود »^(٣٦٨).

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « من أذنب من المؤمنين ذنباً ، أجل من غدوة إلى الليل ، فإن

استغفر لم يكتب له ».

وقال(عليه السلام): « إذا أكثر العبد من الاستغفار ، رفعت صحيفته وهي تتلأأ »^(٣٦٩).

وقال(عليه السلام): « لا صغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار »^(٣٧٠).

(٣٦٧) تصنيف غرر الحكم: ص ١٩٥ .

(٣٦٨) تصنيف غرر الحكم: ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣٦٩) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٣٧٠) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني : ٧ / ٥٨ .

والاستغفار الحقيقي هو العمل الإيجابي المتسلسل لاقتلاع جميع جذور وآثار الانحراف ، وهو يمرّ بمراحل وخطوات عملية.

سمع أمير المؤمنين(عليه السلام) رجلاً يقول: استغفر الله ، فقال: « ثكلتك أمك أوتدري ما حدّ الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على سئة معان: أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزّوجلّ أمّلس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعتمد إلى كل فريضة ضيّعتها فتؤدي حقّها.

والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت والمعاصي فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

فعند ذلك تقول: أستغفر الله» (٣٧١).

والاستغفار عموماً فرصة جديدة لإصلاح النفس والعودة إلى الاستقامة ، بعد التغلب على اليأس والقنوط من الإصلاح والتهديب ، وبهذه الفرصة يجد الإنسان الأمل والتفاؤل لكي يسمو ويتكامل ضمن التعاليم والإرشادات الصالحة.

٧ - التوبة

التوبة عودة إلى الاستقامة والنزاهة وحسن السيرة ، وهي باب من أبواب الهداية والإصلاح ؛ فبها يرجع الإنسان سويّاً يستشعر الرحمة والطمأنينة ، فلا آلام ولا عقد نفسية ولا حجب ضبابية عن الاستقامة والاعتدال ، وبدون التوبة يبقى المذنب يعيش القلب والاضطراب والإزدواجية بين الفكر والسلوك ، وقد يتمادى في ذنوبه وانحرافاته إن شعر بعدم علاجها إلى أن يصل إلى الانحطاط التام ، ولهذا جاءت التوبة لمحو الذنوب والعودة إلى الإستقامة باستشعار الرحمة والرفقة الإلهية.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « التوبة تطهر القلوب ، وتغسل الذنوب » (٣٧٢).

وقال(عليه السلام): « لا تياس لذنبك وباب التوبة مفتوح » (٣٧٣).

وقال(عليه السلام): « إن الندم على الشر يدعو إلى تركه » (٣٧٤).

(٣٧١) إرشاد القلوب: ص ٤٧ .

(٣٧٢) تصنيف غرر الحكم: ص ١٩٥ .

(٣٧٣) تحف العقول، الحرّاني : ص ١٤٩ .

وللتوبة تأثير إيجابي على قلب الإنسان وخلجات نفسه ، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب انمحت ، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه ، فلا يفلح بعدها أبداً »^(٣٧٥).

والتوبة تغيير حقيقي نحو الأفضل والأصلح ، ولذا فهي تتم عبر مقومات ودعائم وأركان نابذة من جميع خلجات وجوارح الإنسان ، قال الإمام محمد الجواد(عليه السلام): « التوبة على أربع دعائم: ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، وعمل بالجوارح ، وعزم أن لا يعود »^(٣٧٦).

ومن مظاهر التوبة البكاء من خشية الله تعالى ، وهو عامل إيجابي في التخفيف من القلق والاضطراب الناشئين من الذنوب ، وله دور في رقة القلب ، وله دور في إعادة الأمل للتسامي والتكامل والفوز بالنعيم الخالد.

قال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « إنَّ الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى والعرش لكثرة ذنوبه ، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله عزَّوجلَّ ندماً عليها ، حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنته إلى مقتلته »^(٣٧٧).

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام): « البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب »^(٣٧٨).
ومن أروع ما في التوبة آثارها الإيجابية ، فكفارة الذنوب تتجسد في أعمال وممارسات صالحة ونافعة للمجتمع.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب »^(٣٧٩).

٨ - الرضا بالقضاء

إنَّ الحياة لا تمضي جزافاً ، بل هنالك سنن وقوانين تتحكم بها ، فحينما توجد الأسباب تتبعها النتائج ، وهذه السنن حاکمة على الإنسان لا تختلف ولا تتخلف ، وأحياناً تكون خارجة عن إرادة الإنسان واختياره ، بمعنى أنَّه لا يملك الحول والقوة في تغييرها وتبديلها مهما بذل من جهد و طاقة ، فقد تطبق عليه الظروف ليبقى فقيراً مستضعفاً محروماً أو لا ينجح في أعماله ومشاريعه ، أو لا توافق رغباته رغبات الآخرين ، وفي جميع ذلك فإن الارتباط بالله

(٣٧٤) الكافي، الكليني : ٢ / ٤٢٧.

(٣٧٥) الكافي، الكليني : ٢ / ٢٧١.

(٣٧٦) كشف الغمّة، للإربلي : ٢ / ٣٤٩.

(٣٧٧) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق : ٢ / ٣.

(٣٧٨) تصنيف غرر الحكم: ص ١٩٢.

(٣٧٩) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ١٨ / ١٣٥.

تعالى والرضا بقضائه كفيل بتهوين الآلام والمآسي وإبعاد آثارها السلبية عن العقل والقلب والضمير ، وعن ردود أفعالها السلبية تجاه النفس والمجتمع.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « نعم الطارد للهـم الرضا بالقضاء ».

قال(عليه السلام): « الرضا بقضاء الله يهون عظيم الرزايا ».

وقال(عليه السلام): « من رضي بالقضاء طابت عيشته »(٣٨٠).

وينبغي أن يدرك الإنسان أن قضاء الله هو خير للمؤمن بجميع مظاهره وحالاته وألوانه ، قال الإمام محمد الباقر(عليه السلام): « في كل قضاء الله خير للمؤمن »(٣٨١).

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام): « ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطنه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه »(٣٨٢).

ومن إيجابيات الرضا بالقضاء الإستسلام للأمر الواقع وللحالة المطبقة بالإنسان ، وهذا الإستسلام يمنعه من ردود الأفعال المتشنجة والصاخبة ضد الأفراد وضد المجتمع ككل ، فإذا عاش الفقر والحرمان فلا يحسد ولا يحقد ولا يعتدي على أموال الآخرين ، وإذا عاش الإهمال والحرمان فلا ينتقم لذاته ، وإذا عاش الفشل في مشاريعه فلا يلقي باللائمة على غيره بل هو في جميع هذه الحالات يميل إلى السعي والكدح لأجل تغيير حاله بطرق سليمة أقرّها الشرع ، والرضا بالقضاء يمنعه من الإستسلام للقلق والاضطراب وهما المرتع الخصب للخلق غير السوي وغير المستقيم.

(٣٨٠) تصنيف غرر الحكم: ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣٨١) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢١٤ .

(٣٨٢) الكافي، الكليني : ٦١ / ٢ .

المبحث الثاني

طرق تقييم النفس ودورها في التربية

١ - تنمية الحياء

الحياء عبارة عن الشعور بالإنفعال والإنكسار النفسي نتيجة للخوف من اللوم والتوبيخ من الآخرين ، وهو شعور تراعى فيه المثل والقيم والضوابط الاجتماعية ، ويسهم بشكل فعال في ضمان تنفيذ القوانين والمنع من الإقدام على التجاوز والاعتداء ، وهو الذي يحصن الإنسان من جميع ألوان الانحراف والرذيلة.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « الحياء لباس سابع ، وحجاب مانع ، وستر من المساوئ واق ، وحليف للدين ، وموجب للمحبة ، وعين كائلة تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء »^(٣٨٣).

وللحياء آثار تربوية إيجابية جاءت في حديث أمير المؤمنين(عليه السلام)حيث قال:

١ - « الحياء مفتاح كل خير ».

٢ - « الحياء يصدُّ عن فعل القبيح ».

٣ - « ثمرة الحياء العفة ».

٤ - « من كساه الحياء ثوبه خفي عن الناس عيبه »^(٣٨٤).

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « فلولا لم يقرَّ ضيف ، ولم يوف بالعادة ، ولم تقض الحوائج ، ولم يتحرَّ الجميل ، ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء ، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء ، فإنَّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حقَّ والديه ، ولم يصل ذا رحم ، ولم يؤدَّ أمانة ، ولم يعفَّ عن فاحشة »^(٣٨٥).

والحياء الإيجابي هو الحياء من: الله تعالى ، والنفس ، والمجتمع ، والقانون ، والذي يحقق آثاراً صالحة في الفكر والسلوك ، قال الإمام موسى الكاظم(عليه السلام): « استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم »^(٣٨٦).

وقال(عليه السلام): « رحم الله من استحيا من الله حقَّ الحياء ؛ فحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وذكر الموت والبلى ، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره ، والنار محفوفة بالشهوات »^(٣٨٧).

(٣٨٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٢٠ / ٢٧٢.

(٣٨٤) تصنيف غرر الحكم : ص ٢٥٧.

(٣٨٥) بحار الأنوار، المجلسي : ٢ / ٢٥.

(٣٨٦) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٩٣.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): « غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه »^(٣٨٨).
فالحياء من الله تعالى ومن النفس يردع الإنسان عن الانحراف الخفي وغير المعلن ،
والحياء من المجتمع والقانون يردعه عن الانحراف العلني والمخفي معاً خوفاً من انكشافه
أمام الملاء.
والحياء له دوران: الأول: الصد عن العمل القبيح والشائن . والثاني: التخلق بالأخلاق
الحسنة والصالحة وخصوصاً في العلاقات الاجتماعية ، وبه ترعى حقوق الآخرين.

٢ - تنمية الضمير

الضمير هو الرادع الداخلي الذي يقدر ما هو حسن وما هو قبيح ، فيساعد الإنسان على
اتخاذ السلوك والقرار الصالح والسليم ، والتخلي عن السلوك والقرار المخالف للقواعد
الصالحة والضوابط الاجتماعية السليمة.
ويرى الباحثون في حقول التربية وعلم النفس أنه (لا الفكر ولا المنطق يأمران الإنسان
بالتصرف ، هما أداتان تمكنان الإنسان من الوصول الى هدف ما ، الضمير هو الأمر ،
والفكر هو المنفذ... ويرى نيومن أنّ الإنسان يفضل التصرف الخاطئ على الصواب إذا
رضي ضميره ؛ ولو دله المنطق إلى خطأ عمله وأرشده إلى الصواب)^(٣٨٩).
وأنّ الضمير عند « فروم » هو (المستودع الرئيسي للميراث الاجتماعي والثقافي في
تكوين الشخصية. وهو القوة المحركة التي تدفع الإنسان الى أداء سلوك معين أو عدم أدائه
لهذا السلوك حسب متطلبات المجتمع ، ويتكون الضمير من خلال التأثيرات الاجتماعية
والثقافية وتجارب الطفولة مع الآخرين ، فالضمير يتكون على شاكلة ضميري الأب والأم ،
ولا يوجد ضمير واحد للفرد ، فهو يمتلك مجموعة من الضمائر تؤلف الضمير الكلي
للفرد)^(٣٩٠).

والضمير هو الواعظ الداخلي للإنسان الذي يردعه عن القبيح ويدفعه إلى عمل الحسن
والصالح ، وهو الرقيب عليه في جميع الأحوال والظروف سرية كانت أم علنية.

(٣٨٧) المصدر السابق : ص ٢٩١.

(٣٨٨) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٢٠ / ٢٦٥.

(٣٨٩) الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان : ص ٢٧١ ، ٢٧٣.

(٣٩٠) التحليل النفسي للشخصية : ص ١٨٠.

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): « من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً » (٣٩١).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): « ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة لها من همّك » (٣٩٢).

وقال الإمام محمد الجواد (عليه السلام): « المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممّن ينصحه » (٣٩٣).

والضمير ينمو باتجاه الاستقامة من خلال التربية المتواصلة والتوجيه الدائم من قبل الوالدين والمعلمين وعلماء الدين ، ومن خلال توجيه الأنظار إلى احترام القواعد السلوكية للمجتمع ، وينمو عن طريق الإيحاء والتلقين ، ومن خلال ملاحظة القدوة الحسنة ، فاعتراف الكبار بالخطأ الذي يرتكبونه يقوّي في أعماق الطفل القدرة على ضبط سلوكه وسيرته. ومن العوامل المساعدة على تنمية الضمير أن يتعامل مع الطفل على أساس أنّه شخصية مستقلة ؛ لأنّ ذلك ينمي في داخله الإحساس بالمسؤولية ومعرفة الخطأ والصواب وتمييز الانحراف عن الاستقامة.

والأهم من جميع ذلك فإنّ الارتباط بالغيب هو الأساس في تنمية الضمير ليؤدي دوره في التوجيه والتهديب والردع ، لأنّه يشعر بالرقابة الغيبية التي تراقبه وتتابعه وتحصي عليه سكناته وحركاته.

وفي جميع الظروف والأحوال لابدّ من تمكين الإنسان وخصوصاً في مرحلة الطفولة من تكوين ضمير سليم لا متزمت ولا متساهل بل ضمير معتدل متوازن.

٣ - إثارة الوجدان

إدراك الفرد لحقائق السنن التي تتحكّم في العلاقات والمسيرة الاجتماعية وآثارها الإيجابية والسلبية التي تسهم في تجنب الموبقات والتوجه للكمال والسمو. ومن السنن المؤثرة في الوجدان الإنساني سنة الصيانة أو التعرض لأعراض الناس ، فمن صان نفسه عن التعرض فسيصان عرضه من الانحراف والدنس ومن اعتداء الآخرين ، ومن اعتدى على أعراض الناس اعتدى على عرضه ، فاذا انغرست هذه السنن في وجدان الإنسان فإنّها ستنتقل من مرحلة التأثير الوجداني إلى مرحلة العمل الإيجابي ، فلا

(٣٩١) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢١٤.

(٣٩٢) الأمالي، الشيخ المفيد : ص ١١٠.

(٣٩٣) تحف العقول، الحرّاني : ص ٣٤٠.

تبقى مجرد حقيقة وجدانية راکدة ومعطلة وإنما ستكون ذات حيوية متحركة في الواقع بعمل وحركة وسلوك يحصن الإنسان من الانحراف والاعتداء الذي يعود ضرره عليه وعلى ذويه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « من زنى زنى به »^(٣٩٤).

وقال (عليه السلام): « ما زنى غيور قط »^(٣٩٥).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « برّوا آبائكم ببركم أبناؤكم ، وعفوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم »^(٣٩٦).

وذكر أهل البيت (عليهم السلام) كثيراً من القصص في إثارة الوجدان وبيان دوره في الاستغفار والتوبة وتجنب الانحراف ، والتسامي نحو الكمال ، والآثار المترتبة على الانحراف تتحقق بتحقيق أسبابها الطبيعية ، فالمنحرف أو المعتدي على أعراض الناس يشارك في تهئية أجواء الانحراف لذويه ، ويكون أقل مراقبة لهم ، إضافة إلى تأثرهم بسلوكه من خلال المحاكاة والمشاهدات الحسية.

٤ - التقييم الذاتي ومحاسبة النفس

التقييم الذاتي للنفس عمل هام وضرورة نفسية واجتماعية ، به يتعرف الإنسان على صفاته وقدراته العقلية والعاطفية والخلقية ، ويرى في نفسه عوامل القوة والضعف ، وفكرة المرء عن نفسه من خلال التقييم الصحيح والواقعي ، لها الأثر الأكبر في تعيين سلوكه ومستوى طموحه ، وفكرة المرء عن نفسه هي (التي توجهه في اختيار أعماله وأصدقائه وزوجته ومهنته وملابسه... كما تسهم في رسم مستوى طموحه ، وهي التي تبين له ضروب السلوك التي هو جدير بها ، وتكفه عن فعل ما يمس احترامه لنفسه...) ^(٣٩٧).

وأكدت الروايات على أهمية معرفة النفس ومعرفة قدرها وطاقاتها ، ومعرفة درجة قربها وبعدها من الاستقامة والصلاح. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « الخير كله فيمن عرف قدر نفسه ، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدر نفسه »^(٣٩٨).

(٣٩٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢٠ : ٣٢٣.

(٣٩٥) نهج البلاغة ، الحكمة : ٣٠٥.

(٣٩٦) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٦٧.

(٣٩٧) أصول علم النفس : ص ١٢٦.

(٣٩٨) مجموعة ورام : ١١٥ / ٢.

وقال (عليه السلام): « ما هلك امرؤ عرف قدره »^(٣٩٩).

وقال (عليه السلام): « رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعدّ طوره »^(٤٠٠).

ومن معرفة النفس معرفة عيوبها ، وهي ظاهرة إيجابية وصحية ، فمن خلال معرفة عيوب النفس ينشغل الإنسان عن عيوب غيره ، ويتوجه إلى إصلاح عيوبه بالطرق والأساليب المتاحة ، ويتعاون مع غيره إن عجز بمفرده ، وقد دلت الروايات على الآثار الإيجابية لذلك.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « من عرف عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره »^(٤٠١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): « أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه »^(٤٠٢).

وبعد التقييم الذاتي ومعرفة النفس يأتي دور المحاسبة لها ، وهي تسهم في إيقاف الانحراف ، والتوجه إلى الإصلاح والتكامل والبناء التربوي الصالح للفرد نفسه ولذويه وللمجتمع.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر »^(٤٠٣).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « حقّ على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليلة

على نفسه ، فيكون محاسب نفسه ، فإذا رأى حسنة استزاد منها ، وإن رأى سيئة استغفر منها ؛ لنلا يخزي يوم القيامة »^(٤٠٤).

وقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل

حسناً استزاد الله ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه »^(٤٠٥).

ومحاسبة النفس تتم على أساس عرض السيرة والممارسة على الموازين والمعايير

الثابتة ، فهي الميزان والمعيار في التقييم الذاتي ومعرفة النفس ومحاسبتها.

٥ - التقييم الاجتماعي

(٣٩٩) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق : ٢ / ٥٤ .

(٤٠٠) تصنيف غرر الحكم : ص ٢٣٣ .

(٤٠١) أعلام الدين، الديلمي : ص ١٨٦ .

(٤٠٢) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٧٣ .

(٤٠٣) نهج البلاغة : ٥٠٦ .

(٤٠٤) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٢١ .

(٤٠٥) الكافي، الكليني : ٢ / ٤٥٣ .

معرفة النفس وتقييمها تنشأ ذاتياً من داخلها ، ولها مناشئ أخرى ، وهي فكرة المجتمع عنها أو تقييم المجتمع لها ، وتنشأ أيضاً من موازنة الإنسان نفسه بغيره من أفراد المجتمع سواء كانوا صالحين أم طالحين.

ومن خلال التقييم الاجتماعي يتعرف الإنسان على نواحي القوة والضعف في نفسه وسلوكه ، وعلى إمكانات خافية أو غير معلومة ، وعلى الأغراض والدوافع التي تقوم وراء سلوكه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « المرأة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس ؛ لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساويه من أعدائه فيهم » (٤٠٦).

وقال الإمام محمد الجواد (عليه السلام): « المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه » (٤٠٧).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « أحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي » (٤٠٨).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): « من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ » (٤٠٩).

والتقييم الاجتماعي قد يكون علنياً أو سرياً ، وبما أن الإنسان دائماً يعتز بنفسه ورأيه ، فإنه لا يتنازل عن رأيه أو موقفه إلا إذا اطمأن أن الناصح له مخلص في نصيحته ويريد له الصلاح والخير ، وهذا الاطمئنان غالباً ما يتأتى إذا كان الناصح رفيقاً به ينصحه بأسلوب شيق وجذاب ، أو ينصحه سراً لا أمام الناس ، لأنّ النصيح أمام الناس كشف للأخطاء وأحياناً يكون إهانة وتشهيراً له ، وبهذا الأسلوب لا يحقق المصلح أيّ تقدّم ملحوظ.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « النصيح بين الملاءمات » (٤١٠).

وقال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): « من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه » (٤١١).

فالتقييم غير العلني يحفظ للإنسان كرامته ، بل يشعره بأنّ الناصح له مخلص وصادق في نصحه لا يريد خدش كرامته أو ترذيله أو تقبيحه ، وهذا الشعور يسهم في دخول النصيحة إلى العقل والقلب بصورة يتفاعل معها المراد إصلاحه أو تغييره أو تربيته.

(٤٠٦) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٢٠ / ٢٧١.

(٤٠٧) تحف العقول، الحرّاني : ص ٣٤٠.

(٤٠٨) المصدر السابق : ص ٢٧٣.

(٤٠٩) الكافي، الكليني : ٨ / ٢٢.

(٤١٠) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٢٠ / ٣٤١.

(٤١١) تحف العقول، الحرّاني : ص ٣٦٨.

وعلى العموم فإنّ التقييم الاجتماعي يؤثر في تقييم الإنسان لذاته ، ويؤثر على ممارساته العملية ، فمثلاً الطفل الذي يسمع من الآخرين ألفاظ جبان أو كذاب أو سارق قد ينشأ على تقييم نفسه على ضوء هذه الألفاظ ، بل قد يصبح بالفعل جباناً أو كذاباً أو سارقاً كرد فعل للتقييم الخاطئ له ، أو التقييم المتسرع الذي اعتمد على ظاهرة واحدة أو ممارسة واحدة قد تكون غير مقصودة.

الفصل السادس خصائص المربين وأساليب التربية

المبحث الأول: خصائص المربين

مسؤولية التربية من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق المربين في حركتهم التكاملية التي رسمها لهم الإسلام ، والإسلام جاء لإنشاء أمة متكاملة تستهدي بنوره وتنطلق لتنظيم شؤونها وإصلاح أوضاعها ، لتتربى الضمائر والأفكار والعواطف والمواقف على أساس القواعد الكلية التي حددها الإسلام ؛ لتكون الروابط الإسلامية والأخلاق الإسلامية. والتربية ليس مجرد أوامر ونواه تلقن أو تصدر للإنسان فيستجيب لها ، وإنما هي عملية تغيير للمحتوى الداخلي للإنسان ، وصياغة جديدة لأفكاره وعواطفه وممارساته ، ولهذا فلا بد أن يتصف المربون بصفات وخصائص تؤهلهم لتحقيق مظاهر المسؤولية في الواقع الإنساني والاجتماعي. ومن أهم مقومات نجاح هذه المسؤولية أن يكون المربي مخلصاً في مهمته ، متفائلاً بالنجاح ، متعاوناً مع غيره ، مندفعاً ذاتياً بلا إنتظار جزاء أو أجر إلا من الله تعالى ، فهو المعين له في إنجاح مسؤوليته. ويمكن تصنيف خصائص وصفات المربين إلى: خصائص ذاتية وخصائص عملية.

الخصائص الذاتية للمربين

أولاً : العلم والمعرفة

ينبغي أن يكون المربي أو المرشد أو الموجه عالماً بقواعد وأسس المفاهيم والقيم والآداب والموازين المراد تربية الآخرين على ضوئها ، وأن يكون مطلعاً على كثير من المعارف المتعلقة بالتربية ، كعلم الأخلاق و علم النفس و علم الاجتماع ، والتاريخ وغيرها. وأن يكون على معرفة واطلاع إجمالي أو مفصل بالأمور التالية:

- ١ - أحوال وظروف المجتمع الذي يعيش فيه.
- ٢ - خصائص الأفراد من حيث أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم العملية.

٣ - الأحداث والمواقف والتيارات الناشطة.

٤ - تشخيص ما ينبغي أن يعمل تبعاً للظروف من حيث: اللين والشدّة ، أو التأنّي والإسراع.

٥ - الفوارق بين بيئة وأخرى وزمان وآخر وقوم وآخرين.

وهذه المعرفة تسهم في الإسراع بإنجاح العمل التربوي والإصلاحي ، وعدم المعرفة في جميع أو بعض المجالات تؤدي إلى نتائج سلبية ، ولا توصل المربي أو المصلح إلى تحقيق أهدافه أو تحقيق الثمار الإيجابية لعمله وحركته التربوية ، بل قد تبعده عن جميع ذلك.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة السير إلا بعداً »^(٤١٢).

وعنه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح »^(٤١٣).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كحقل تربوي يشترط فيه العلم والمعرفة ، وقد سئل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: « لا » ، فقليل له: ولم؟ قال: « إنّما هو على القويّ المطاع ، العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيّ من أيّ ، يقول من الحقّ إلى الباطل... »^(٤١٤).

وقال (عليه السلام): « إنّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى... »^(٤١٥).

ومن خلال متابعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام) نجد أنّهم كانوا يحثّون على طلب العلم وعلى معرفة أحوال المجتمع وعلى معرفة أحوال المخاطبين لكي يكون المربي قادراً على النجاح في تحقيق مسؤوليته.

ثانياً : القدوة

الإنسان وخصوصاً في مرحلة الحداثة والطفولة يحاول التشبه بالأشخاص الأكثر حيوية والأشد فاعلية في المجتمع ، ويتعمق التشبه في خلجات نفسه بالتدرّج حتى يستحكم في العقل والعاطفة ثم الإرادة والسلوك ، والمربي هو من أكثر أفراد المجتمع عرضة للتشبه به ثم

(٤١٢) تحف العقول، الحرّاني: ص ٢٦٩.

(٤١٣) الكافي، الكليني: ١ / ٤٤.

(٤١٤) الكافي، الكليني: ٥ / ٦٠.

(٤١٥) تحف العقول، الحرّاني: ص ٢٦٦.

تقليده ثم الاقتداء به لأثّه على علاقة متواصلة مع الناس والأفراد المراد تربيتهم سواء أكان والداً أم والدّة أم معلماً أم عالم دين.

وإذا لم يكن المربي قدوة لغيره فإنّ عمله لا يثمر ، ولا يستطيع أن ينفذ إلى القلوب ليوجّهها نحو الاستقامة والصلاح ما دام لا يطابق فعله قوله ، وعمله تصوراته ، حيث لا يبقى لموعظته أيّ أثر إيجابي على ممارسات وسيرة المراد تربيتهم. قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا» (٤١٦).

وإذا لم يكن المربي قدوة في سلوكه وسيرته ، فإنّ الناس لا ينتفعون بقوله ورأيه بمعنى أنّه لا يؤثر فيهم عملياً. قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «من لم ينسلخ عن هواجسه ، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ، ولم يهزم الشيطان ، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته ؛ لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة ، فكما أظهر أمراً كان حجة عليه ، ولا ينتفع الناس به» (٤١٧).

وقد مثل (عليه السلام) المربي والموجه باليقظان ، فإنّ غيره لا يستطيع أن يوقظ الناس لأنه راقد ، فقال (عليه السلام): «فإنّ مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد ، فمن استيقظ عن رقدته وغفلته ومخالفاته ومعاصيه ، صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد» (٤١٨).

وقد دعا (عليه السلام) إلى أن يكون المربي والداعية مجسداً للسلوك الصالح في حركته ، وأن يكون مربياً بسيرته قبل التربية بلسانه ، فقال (عليه السلام): «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ؛ ليروا منكم الورع والاجتهاد والصبر والخير ، فإنّ ذلك داعية» (٤١٩).

ومن يتغلب على نفسه فإنه قادر على تربية الآخرين على التغلب على نفوسهم الأمارة بالسوء ، ومن لم يميّز الشر في داخله فإنه لا يستطيع أن يميّزه في صدور الآخرين. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك» (٤٢٠).

ودعا (عليه السلام) إلى تجسيد المفاهيم والقيم الصالحة في النفس والإرادة والسلوك العملي قبل دعوة الناس إليها ، فقال: «إنتمروا بالمعروف وأمروا به ، وتناهوا عن المنكر وانهاؤا عنه» (٤٢١).

(٤١٦) الكافي، الكليني : ١ / ٤٤.

(٤١٧) مستدرک الوسائل، النوري : ١٢ / ٢٠٣.

(٤١٨) مستدرک الوسائل، النوري : ١٢ / ٢٠٣.

(٤١٩) الكافي، الكليني : ٢ / ٧٨.

(٤٢٠) تصنيف غرر الحكم : ص ١٠٦.

(٤٢١) المصدر السابق : ص ٣٣٢.

ويرى(عليه السلام) أنّ من لم يكن قدوة صالحة فهو غاو لغيره إن تبنى مسؤولية التربية أو الدعوة إلى الدين والسيرة الصالحة ، قال(عليه السلام): « كفى بالمرء غواية أن يأمر الناس بما لا يأتمر به ، وينهاهم عما لا ينتهي عنه »(٤٢٢).

وقد جسّد أهل البيت(عليهم السلام) دور القدوة في حركتهم لتربية أبنائهم أو تربية الأمة أو تربية الموافقين والمخالفين على حد سواء ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « أيّها الناس ، إني والله ما أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأنتاهي قبلكم عنها »(٤٢٣).

وكان أهل البيت(عليهم السلام) قدوة في كلّ شيء ، وكانوا القمة في جميع الفضائل والمحاسن والمكارم ، ولهذا استطاعوا تربية عدد كبير من المسلمين واعدّوهم ليكونوا مربين بدورهم ، فكانوا قمة في الاخلاص لله تعالى ، وقمة في المعرفة ، وفي الشجاعة ، وفي العدالة ، وفي الصدق والأمانة والوفاء بالعهد ، وفي جميع مجالات ومقومات الشخصية في الفكر والعاطفة والسلوك.

ثالثاً: الإنصاف والإيثار

للإنصاف والإيثار دور كبير في خلق الأجواء الروحية والنفسية لنمو حركة التربية ، حيث يرتبط الناس روحياً وعاطفياً بمن يتصف بهاتين الصفتين ، ويشعرون بأنّ المربي أو المصلح غاية في الكمال والتسامي ، وأنّه عادل في تعامله مع الآخرين وفي تقييمهم ، وأنّه يتمتع بالتعالي على الأطر والمصالح الضيقة والأنانية ، وبهذا الشعور وبهذا الانشداد يمكن التأثير على أفكار وعواطف وممارسات الآخرين ، حيث يجد المربي لرأيه ولإرشاده قبولاً ، وهو مقدمة أساسية للتربية والإصلاح.

يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في هذا الصدد:

١ - « المنصف كثير الأولياء والأوداء ».

٢ - « الإنصاف يستديم المحبة ».

٣ - « الإنصاف يألف القلوب ».

٤ - « مع الإنصاف تدوم الأخوة ».

٥ - « من عدم إنصافه لم يصحب »(٤٢٤).

(٤٢٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٣٣.

(٤٢٣) نهج البلاغة: ص ٢٥٠.

(٤٢٤) تصنيف غرر الحكم : ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.

والمربي الكثير الأولياء والمحبوب من قبل الآخرين أكثر تأثيراً من غيره ، حيث تتقبل القلوب إرشاداته وتوجيهاته وتسعى لتحقيقها في الواقع في ممارسات عملية.
وحول صفة الإيثار قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - « غاية المكارم الإيثار ».

٢ - « بالإيثار يسترق الأحرار ».

٣ - « بالإيثار على نفسك تملك الرقاب »^(٤٢٥).

والمربي المتصف بالإيثار له سلطان روحي وهيمنة عاطفية على الآخرين وجميع ذلك يؤثر في تقرير المفاهيم والقيم الصالحة في عقول وقلوب وإرادة من يراد تربيتهم.
وقد ملك أهل البيت(عليهم السلام) قلوب الناس بالإيثار ، واستطاعوا ايصالهم إلى شاطئ السعادة في الدنيا والآخرة بالتزامهم بالنهج القويم الذي أرسى أركانه القرآن الكريم ورسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام).

رابعاً: الزهد

الزهد في أموال الناس وممتلكاتهم ، والزهد الذاتي في الحياة الدنيا بزینتها وملذاتها يسهم في إزدياد ثقة الناس بالمربي والمبلغ والداعية ؛ حيث يشعرون بأنه لا يرجو من عمله وحركته دنيا ولا جاهاً ، وإنما يعمل لذات المسؤولية تقرباً إلى الله تعالى. وبالزهد يكتسب المربي محبة الناس ، وبهذه المحبة يستطيع التأثير على عقولهم وقلوبهم وإراداتهم.
قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « تحبب إلى الناس بالزهد فيما بأيديهم ، تفر بالمحبة منهم »^(٤٢٦).
وقال(عليه السلام): « الزهد أقل ما يوجد ، وأجل ما يعهد ، ويمدحه الكل ويتركه الجل »^(٤٢٧).
والزهد مفتاح الصلاح للمربي وللمجتمع أجمع ، وهو زين الحكمة ، كما جاء في قول أمير المؤمنين(عليه السلام): « الزهد مفتاح صلاح » وقال(عليه السلام): « زين الحكمة الزهد في الدنيا »^(٤٢٨).

خامساً : البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام

(٤٢٥) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٩٦.

(٤٢٦) تصنيف غرر الحكم: ص ٤٣٧.

(٤٢٧) المصدر السابق: ص ٢٧٥.

(٤٢٨) المصدر السابق : ص ٢٧٥.

البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام من الممارسات المحبوبة عند جميع الناس ، وهي تسهم في جذب الناس وإمتلاك عواطفهم ومشاعرهم ؛ لأنّ الناس يتأثرون بالشخص قبل التأثر بالمفاهيم والأفكار ، وهم يقيسون الإنسان على ظاهره قبل باطنه ، فحينما يرونه بشوشاً طليق الوجه لين الكلام فإنهم سيتوجّهون إلى أفكاره ورغباته بشوق وجاذبية. وفي ذلك قال إمامنا أمير المؤمنين(عليه السلام):

- ١ - « طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البرّ وبذل التحية داع إلى محبة البرية ».
- ٢ - « عليك بالبشاشة فإنّها حباله المودة ».
- ٣ - « البشر يطفئ نار المعاندة ».
- ٤ - « البشر يؤنس الرفاق ».
- ٥ - « عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوبك ويقلّ مبغضوك ».
- ٦ - « من عذب لسانه كثر إخوانه »^(٤٢٩).
- ٧ - « من لانت كلمته وجبت محبته »^(٤٣٠).
- ٨ - « إنّ أحسن ما يألف به الناس قلوب أودائهم ونفوا به الضغن عن قلوب أعدائهم حسن البشر عند لقائهم والتفقد في غيبتهم والبشاشة بهم عند حضورهم »^(٤٣١).

الخصائص العملية للمربين

أولاً: الإدارة

يجد المربي أصنافاً من الناس يختلفون في أعمارهم وأجناسهم ، ويختلفون في طاقاتهم وإمكاناتهم الفكرية والعاطفية والسلوكية ، ويختلفون في إنتماءاتهم وولاءاتهم الطبقية والقبلية والقومية والطائفية ، ويختلفون في درجات قربهم وبعدهم عن الدين ، ويختلفون في نظرهم للمربي من حيث الاحترام والتقدير وعدمهما ، ومن حيث الثقة به وعدمها ، وجميع ذلك بحاجة إلى الإدارة.

ومداراة أفراد المجتمع المتعددين في كل جوانب الشخصية من أولويات العمل والفعالية في أوساطهم لإصلاحهم وتربيتهم ، ولهذا جاءت الروايات لتؤكد على هذه الظاهرة الجميلة.

(٤٢٩) تصنيف غرر الحكم : ص ٤٣٤ ، ٤٣٦ .

(٤٣٠) تحف العقول، الحرّاني : ص ٦٠ .

(٤٣١) المصدر السابق: ص ١٥٢ .

عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض » (٤٣٢).

وعنه (عليه السلام) قال: « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يردُّ به جهل الجاهل » (٤٣٣).

والمداراة كما وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) هي جمال الحكمة ، وسلامة الدين والدنيا ، وأحمد الخلال ، فقال (عليه السلام):

١ - « جمال الحكمة الرفق وحسن المداراة ».

٢ - « سلامة الدين والدنيا في مداراة الناس ».

٣ - « المداراة أحمد الخلال » (٤٣٤).

ومن مصاديق المداراة أن يتحدث المرابي بلغة مبسطة واضحة مفهومة من قبل جميع المستويات الفكرية والعلمية ، وأن يتجنب المصطلحات الغامضة والعبارات غير الواضحة التي لا تحقق أي تقدّم في المجال التربوي.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

١ - « أحسن الكلام ما زانه حسن النظام ، وفهمه الخاص والعام ».

٢ - « أبلغ البلاغة ما سهل في الصواب مجازه ، وحسن إيجازه ».

٣ - « أحسن الكلام ما لا تمجّه الآذان ، ولا يتعب فهمه الأذهان » (٤٣٥).

ومن المداراة اختصار الكلام وتجنب الإسهاب المؤدّي إلى الكلال والملل.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « الكلام كالدواء قليله ينفع وكثيره قاتل ».

وقال (عليه السلام): « أقلّ المقال ، وقصر الآمال ، ولا تقل ما يكسبك وزراً وينفر عنك حراً » (٤٣٦).

ومن المداراة تجنب الحديث عن الأمور التي لا يتعلّقها المراد تربيتهم ولا تتحملها عقولهم.

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلينا ، فحدثهم بما يعرفون وترك ما ينكرون » (٤٣٧).

(٤٣٢) الكافي، الكليني: ١١٧ / ٢.

(٤٣٣) الكافي، الكليني: ١١٦ / ٢.

(٤٣٤) تصنيف غرر الحكم: ص ٤٤٥.

(٤٣٥) تصنيف غرر الحكم: ص ٢١٠.

(٤٣٦) تصنيف غرر الحكم: ص ٢١١.

(٤٣٧) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٥ / ٢.

وعن محمد بن عبيد قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) فقال لي: « قل للعباسي: يكف عن الكلام في التوحيد وغيره ، ويكلم الناس بما يعرفون ، ويكف عما ينكرون »^(٤٣٨).
ودخل عليه يونس بن عبد الرحمن فشكا إليه ما يلقي من أصحابه من الوقعة ، فقال له الإمام الرضا (عليه السلام): « دارهم فإن عقولهم لا تبلغ »^(٤٣٩).
وينبغي أن لا تكون المداراة في ترك الحق كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك الحق »^(٤٤٠).
ومن مصاديق المداراة مراعاة الدوافع النفسية والعاطفية للانحراف ، وأجواء المنحرف الاجتماعية ، ولذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يراعون الضعف البشري عند أصحابهم وعند مخالفيهم ويقابلونه بالمداراة لأنها الكفيلة بتحقيق الأهداف المتوخاة من التربية.

ثانياً: الرفق

من طبيعة الإنسان أنه يأنس بآرائه وأفكاره ومواقفه ، ويحرص على عدم المساس بها لأنها جزء من شخصيته ، ويرى فيها كرامته وكبريائه ووجوده ، فينبغي لمن يريد أن يتحرك في وسط المجتمع ليربيه أو يصلحه أن يتعامل برفق مع الناس سواء في تخطئة آرائهم وأفكارهم ومواقفهم أو تبيان صحة المفاهيم والقيم المراد تقريرها في نفوسهم وواقعهم.

والرفق صفة محببة لدى الناس وبها تتيسر الصعاب وتسهل الأمور ، ويتفاعل الناس مع المربي والمبلغ والداعية إلى الله ، كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): « الرفق يبسر الصعاب ويسهل شديد الأسباب ».

وقال (عليه السلام): « من استعمل الرفق لان له الشديد »^(٤٤١).

فبالرفق يتنازل الإنسان عن رأيه الخاطئ وعن موقفه الخاطئ ، ويتقبل النصيحة والإرشاد ، بل يتفاعل معه ليصلح نفسه على ضوء الأسس والمفاهيم المراد تقريرها في الواقع.

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس »^(٤٤٢).

(٤٣٨) التوحيد، الشيخ الصدوق : ص ٩٥.

(٤٣٩) رجال الكشي : ص ٤٨٨.

(٤٤٠) تحف العقول، الحرّاني : ص ٢٩.

(٤٤١) تصنيف غرر الحكم : ص ٢٤٤.

(٤٤٢) الكافي، الكليني : ٢ / ١٢٠.

والمربّي لا يريد من الناس أجراً أو شكراً ، وإنما يريد لهم الخير والسعادة بتربيتهم على أساس الخلق السامي والسلوك السليم ، فهو يريد لهم أن يكونوا صالحين ومصلحين ، فالمصلحة تعود لهم ولمجتمعهم ، فمن الطبيعي أن ينال ما يريده إذا كان رفيقاً معهم.

وجعل الإمام زين العابدين(عليه السلام) الرفق حقّاً من حقوق المستنصح ، فقال: «وَمَا حَقَّ المستنصح ، فَإِنَّ حَقَّهُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النصيحة على الحقّ الذي ترى له أنه يحمل ويخرج المخرج الذي يلين على مسامحه ، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله ؛ فَإِنَّ لكل عقل طيقه من الكلام يعرفه ويجتنبه ، وليكن مذهبك الرحمة»^(٤٤٣). وفي رواية أخرى: «وليكن مذهبك الرحمة والرفق به»^(٤٤٤).

ومن الرفق عدم التكلف في طرح الأفكار والمفاهيم ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «قولوا ما قيل لكم ، وسلّموا لما روي لكم ، ولا تَكْلَفُوا ما لم تُكْلَفُوا ، فَإِنَّمَا تَبْعْتُهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَلَفِظَتْ أَلْسِنَتُكُمْ ، أَوْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ غَايَتُكُمْ»^(٤٤٥).

ومن الرفق كما ورد في أحاديث أهل البيت(عليهم السلام) إبداء النصيحة بمرونة ويسر وبصورة شيقة وجذابة ، وأن لا يتحدث المربي بما يفرع الناس ويشق عليهم في مسائل عذاب الله تعالى وعذاب القبر ، ومن الأفضل تقديم صفات الرحمة والرفقة والغفران على صفات الانتقام ، وفي إبداء النصيحة العامة ينبغي عدم ذكر أسماء المنحرفين أمام الملاء ، وأن تكون النصيحة سرّاً.

ومن الرفق مراعاة الأوضاع النفسية للإنسان في مجال العبادة الواجبة والمندوبة ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَوَافِلِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ»^(٤٤٦).

وذكر الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) قصة الكافر الذي أسلم فاصطحبه أحد المسلمين وأثقله بالصلاة وحمله ما لا يطيق ، فقال له: انصرف عني ، فَإِنَّ هَذَا دِينٌ شَدِيدٌ لَا أَطِيقُهُ»^(٤٤٧).

ثالثاً: الإحسان

(٤٤٣) تحف العقول، الحرّاني : ص ١٩٤ .

(٤٤٤) مكارم الأخلاق، الطبرسي : ص ٤٢٣ .

(٤٤٥) تحف العقول، الحرّاني : ص ١٠٤ .

(٤٤٦) نهج البلاغة : ٥٣٠ .

(٤٤٧) الخصال، الشيخ المفيد : ص ٣٥٤ .

بالإحسان إلى الآخرين يتمكن المربي من التأثير على عواطفهم ، ثم عقولهم ، ثم ممارساتهم ؛ لأنّ النفس الإنسانية مجبولة على حبّ من أحسن إليها ، والإحسان يؤدي إلى كسب ودّ الآخرين والسيطرة على كياناتهم فيخضعون لإرادة المحسن ولسلطانه الروحي ، كما ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - « الإحسان يسترق الإنسان ».

٢ - « بالإحسان تملك القلوب ».

٣ - « سبب المحبة الإحسان ».

٤ - « عليك بالإحسان فإنه أفضل زراعة وأربح بضاعة »(٤٤٨).

فالإحسان له دور كبير في إصلاح النفوس وتوجيهها نحو الاستقامة ومن ثم التكامل والسمو ، لأنّها ستتوجه إلى المحسن بكل جوارحها ، فيكون له التأثير عليها بالاستهواء ، فنتسارع النفوس للاستجابة لإرشاداته قناعة أو حياءً.

وقد استطاع أهل البيت(عليهم السلام) إصلاح الكثيرين بعد الإحسان إليهم ، والأفضل من الإحسان مقابلة الإساءة بالإحسان ، وكانت هذه صفة من صفاتهم(عليهم السلام).

روى المبرّد وابن عائشة: أنّ شامياً رأى الإمام الحسن بن علي(عليه السلام)راكباً فجعل يلعنه ، والحسن لا يرد ، فلما فرغ أقبل الحسن(عليه السلام) فسلم عليه وضحك ، وقال: « أيها الشيخ أظنك غريباً ، ولعلك شبّهت ، فلو استعبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملاك ، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنياك ، وإن كنت طريداً آويناك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت إرتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً ».

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ.(٤٤٩)

رابعاً : الاختلاط بالناس

من الصفات المهمة للمربي وللमصلح أن يختلط مع الناس ولا ينعزل عنهم ، لأنّ التربية والإصلاح لا تقتصر على إلقاء الخطب في المجالس العامة والخاصة ، وإنما هي حركة وعمل دؤوب في الأوساط الاجتماعية تتطلب مشاركة الناس في آمالهم وآلامهم وأن يعيش المربي معهم كواحد منهم ، يشاركهم في نشاطاتهم وفعالياتهم واحتفالاتهم وأحزانهم ، وهكذا

(٤٤٨) تصنيف غرر الحكم : ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨.

(٤٤٩) بحار الأنوار، المجلسي : ٤٣ / ٣٤٤.

كان أهل البيت (عليهم السلام) في وسط الأمة ، وبهذا التعايش إستطاعوا تربية وإصلاح الكثير من أتباعهم ومخالفينهم.

قال صعصعة بن صوحان يصف أمير المؤمنين (عليه السلام): (كان فينا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه).^(٤٥٠)

وقال نافع بن جبير للإمام زين العابدين (عليه السلام): إنك تجالس قوماً دوناً ، فقال له: «إني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني». ^(٤٥١)

وكانت إرشاداتهم لأصحابهم أن يتعايشوا مع غيرهم من المخالفين ، ومن هذه الإرشادات ما جاء عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: «كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً ; صلّوا في عشائهم ، وعودوا مرضاهم ، واشهدوا جنازتهم...». ^(٤٥٢)

والاختلاط بالمجتمع يسهم مساهمة فعالة في معرفة أحوال وأوضاع الناس المختلفة ، وهي مقدمة للإصلاح والتربية ، ومن تلك الأوضاع والأحوال:

١ - معرفة مستويات الناس المراد تربيتهم.

٢ - معرفة الصالحين من الطالحين.

٣ - معرفة الأسباب والعوامل المساهمة في الانحراف.

ومن هنا يستطيع المربي أن يمتلك القدرة على تشخيص الانحراف في بدايته ، وعلى اختيار الأسلوب المناسب للإصلاح والتربية ، والتعاون مع بقية المربين لوضع البرامج والخطط التربوية المناسبة.

خامساً : الصبر والحلم

إنّ التربية والدعوة إلى الإصلاح والاستقامة (ليست أفكاراً تطرح أو خطابات تلقى ، بل هي مسؤولية كبيرة مليئة بالمصاعب والمشاكل والمعوقات والعراقيل ; لأنها تصطدم بشهوات النفس ونزواتها ، وتواجه اعتزاز الناس بمفاهيمهم وقيمهم التي أنسوا بها ، وتواجه السلطات المنحرفة التي تريد اشغال الناس بالانحراف عن المنهج القويم ، وتواجه المنحرفين الذين يكرهون الإصلاح والصالحين ، ويواجه المربي ضغوطات نفسية التي تروم إلى الراحة

(٤٥٠) شرح نهج البلاغة : ٢٥ / ١ .

(٤٥١) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٧٥ .

(٤٥٢) الكافي : ٢ / ٢١٩ .

والاسترخاء ، والوحشة من طول الطريق وقلة المربين وكثرة المنحرفين ، ويواجه المغريات التي تثنيه عن أداء مسؤوليته.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): « المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه »(٤٥٣).

وأمام هذه الشدائد لابدّ من الصبر والتحمل ، فبالصبر يتغلب المربي على جميع المصاعب ، وهو عون له للاستمرار في حركته التربوية بلا تردد ولا تراجع. وحول أهمية الصبر وآثاره الإيجابية قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - « الصبر عون على كل أمر ».

٢ - « الصبر كفيل بالظفر ».

٣ - « بشر نفسك إذا صبرت بالنجاح والظفر »(٤٥٤).

وينبغي أن يكون المربي الصابر حليماً حتى ينال احترام وتقدير الآخرين ، ويملك أزيمة قلوبهم ومشاعرهم بحلمه.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام):

١ - « بالحلم تكثر الأنصار ».

٢ - « بالاحتمال والحلم يكون لك الناس أنصاراً وأعواناً ».

٣ - « ضادوا الغضب بالحلم تحمدوا عواقبكم في كل أمر »(٤٥٥).

سادساً : القدرة على التقييم الموضوعي

التقييم الموضوعي للأفراد والكيانات الاجتماعية ، يسهم في إنجاح الأعمال والنشاطات المتعلقة بمسؤولية التربية والإصلاح والتغيير ، فينبغي لمن تحمّل هذه المسؤولية أن يكون قادراً على التقييم السليم القائم على أسس وموازن سليمة من حيث قربهم وبعدهم عن الاستقامة الفكرية والسلوكية.

والتقييم الموضوعي يسهم في دفع الجانحين للعودة إلى الاستقامة ومن ثمّ التوجّه للتكامل والسمو والوصول إلى القمة في جميع مقومات الشخصية ؛ لأنّه يستنهض الهمم ويستجيش العزائم ليتحول الإنسان من سيء إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن.

(٤٥٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني : ١١٥ / ٥ .

(٤٥٤) تصنيف غرر الحكم : ص ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

(٤٥٥) المصدر السابق : ص ٢٨٧ .

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن ذلك تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة ، فالزم كلاً منهم ما ألزم نفسه أدباً منك ينفعه الله به ، وتنفع به أعوانك »(٤٥٦).

والمساواة في التقويم ، بمعنى عدم التمييز بين المحسن والمسيء ، وبين العامل والمقصر ، تؤدي إلى تعطيل الطاقات الفعالة المثمرة ، وتميت روح المبادرة ، وتؤدي إلى توقف أو بطء حركة التربية والإصلاح.

ولهذا نجد أهل البيت(عليهم السلام) يصفون أصحابهم بالوصف المناسب لهم من حيث الاخلاص والاستقامة ومن حيث قربهم وبعدهم عن منهجهم(عليهم السلام) ومن حيث ما قدموه من خدمات للدين وللأمة.

المبحث الثاني : أساليب التربية

أولاً : أسلوب الخطاب

أسلوب الخطاب من الأساليب التربوية الشائعة والتي مورست من قبل جميع التيارات والوجودات والشخصيات ، وقد مارس أهل البيت(عليهم السلام) هذا الأسلوب في تربية أصحابهم وسائر أبناء المجتمع المسلم ، وسيرتهم حافلة بالخطابات والبيانات التي تخاطب جميع مقومات الشخصية حيث تخاطب العقل والقلب والإرادة لتستجيش فيها عناصر الخير والصالح ، وتطارد عناصر الشر والانحراف ، موجهة الأنظار إلى خالق الكون والحياة والإنسان وإلى رقابته على سكنات الإنسان وحركاته ، وموجهة العقول والقلوب إلى يوم الحساب ويوم الثواب والعقاب وإلى عذاب القبر ، ومحذرة من مزالق الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، ومحذرة من المغريات التي تستهوي الإنسان ليركن إليها وينشغل باللهث ورائها تاركاً مسؤوليته في الحياة ، وكانت الخطابات توجه العقول والقلوب إلى سنن الله تعالى المتحكمة في الحياة والإنسان وإلى آثار بعض الأعمال الصالحة والطالحة.

والخطاب أهم وسيلة لتحريك العقل الجمعي وتوجيهه نحو الصلاح والاستقامة ، وهو الوسيلة التربوية الموجهة لعدد كبير من الناس فيها اقتصاد في الوقت وتجميع للطاقات.

وقد سنحت الفرصة للإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) لإلقاء خطبه بعد بسط اليد له بالبيعة العامة وتسلمه الخلافة ، وكذلك للإمام الحسن وللإمام الحسين(عليهما السلام) ، وبعض الفرص للإمام زين العابدين(عليه السلام) وللإمام جعفر الصادق(عليه السلام) وللإمام علي بن موسى

الرضا(عليه السلام) ، أمّا بقية الأئمة فكانت فرص الخطاب محدودة في كمّها ونوعها حيث كانت مقتصرة على الأتباع والأنصار والمقربين ، حيث إنّ المنابر العامة كانت بيد أعدائهم ومخالفهم.

وكان للخطاب الدور الأكبر في كشف حقيقة النظام الأموي بعد إقدامه على قتل الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته ، وبخطاب الإمام زين العابدين(عليه السلام) في الكوفة والشام والمدينة عاد عدد كبير من المسلمين إلى وعيهم ورشدهم فتنبّوا منهج أهل البيت(عليهم السلام) وعاد الكثير منهم إلى الاستقامة.

وكان المنبر الحسيني وسيلة واسعة لإلقاء الخطب والبيانات وتبيان الحقائق والحثّ على الطاعة ، وتبيان مظلومية أهل البيت(عليهم السلام) وكراماتهم وسيرتهم ليقّتي بها الآخرون ، وقد شجع أهل البيت(عليهم السلام) على إقامة مجالس العزاء على سيّد الشهداء ، وهي مجالس تلقى فيها الخطب سواء أكانت خطباً لأهل البيت(عليهم السلام) أم للعلماء أم للصالحين. والمتابع لخطابات أهل البيت(عليهم السلام) يجدها خطابات موجزة ومفهومة للسامعين ومتنوعة في مفاهيمها وقيمها.

ثانياً : القصص

القصص بطبيعتها محبّبة لدى الناس ومؤثرة فيهم حيث يتوجهون إليها بعقولهم وقلوبهم ووجدانهم ، يتابعون أحداثها وفصولها ، ويتأثرون بأبطالها وشخصياتها ، والقصص تبقى فاعلة في الذهن أكثر من غيرها ؛ لسهولة حفظها وتذكرها ونقلها.

وحول دور القصة في التربية ورد في وصية أمير المؤمنين(عليه السلام) للإمام الحسن(عليه السلام): «أحيي قلبك بالموعظة... وأعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين... إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم ؛ حتّى عدت كأحدهم ؛ بل كائني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم...» (٤٥٧).

وللقصة دور في تحريك العقول للتفكير ، والوصول إلى الحقيقة وتجسيدها في ممارسات ومواقف عملية ، وقد حفلت سيرة أهل البيت(عليهم السلام) بتربية أصحابهم عن طريق القصص لما فيها من مفاهيم وقيم متنوعة في مجالات النفس الإنسانية وفي مجالات المجتمع الإنساني ، وقد ذكروا(عليهم السلام) قصصاً عديدة عن تاريخ ومسيرة الأنبياء والأولياء والصالحين ودورهم في الحياة الإنسانية وخصائصهم الحميدة ومواقفهم من الأفراد ومن

الوجودات ، وقصصاً عن إيمانهم وعباداتهم وعن أخلاقهم وعلاقاتهم مع الناس ، وعن زهدهم وإيثارهم وصبرهم وإحسانهم إلى غير ذلك من الصفات النبيلة.

كما ذكر أهل البيت (عليهم السلام) قصصاً عن الصالحين وعن التائبين وعن مواقف شريفة ونبيلة لكي تؤدي دورها في تربية النفوس والقلوب ، ومن هذه القصص: قصة نقلها الإمام زين العابدين عن امرأة نجت من سفينة فواجهها رجل يقطع الطريق وينتهك الحرمات ، فلم يكلمها حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما أن همّ بها اضطربت ، فقال لها: ما لك تضطربين ، قالت: أفرق من هذا وأومات بيدها إلى السماء ، قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزته ، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنما استكرهتك استكراهاً ، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحقّ منك ، فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست له همّة إلا التوبة والمراجعة.^(٤٥٨)

وهناك قصص عديدة في جميع أصناف وألوان السلوك والممارسات ذكرها أهل البيت (عليهم السلام) في أجواء التربية والإصلاح والإرشاد للموالين وللمخالفين.

ثالثاً : الأمثال والتمثيل

استخدم أهل البيت (عليهم السلام) ضرب الأمثال كوسيلة من وسائل التربية في طريق الهداية والاستقامة بالحثّ على الالتزام بمفاهيم وقيم الإسلام.

وضرب الأمثال يقرب المعنى إلى الأذهان ويجعله متحركاً في الضمير والوجدان البشري ، وهو سهل الحفظ والنقل ، وله تأثير محسوس وواقعي على جميع مقومات الشخصية ، إضافة إلى أنه يضرب باختصار وإيجاز ، فلا يصيب المستمع بسماعه مللاً بل يتوجه بكل جوارحه ليستمع إليه.

وقد مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) الدنيا بالحيّة فقال: «أما بعد فإنّ مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسّها ، قاتل سمّها»^(٤٥٩).

ومثلها الإمام الصادق (عليه السلام) بماء البحر فقال: «مثل الدنيا كمثّل البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله»^(٤٦٠).

(٤٥٨) الكافي، الكليني : ٢ / ٧٠.

(٤٥٩) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٦٨.

(٤٦٠) الكافي، الكليني : ٢ / ١٣٦.

ومثل الإمام محمد الباقر (عليه السلام) من لم يتبع الأئمة المنصّبين من قبل الله تعالى بالشاة فقال: « كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله ; فسعيه غير مقبول ، وهو ضالّ متحير ، والله شائن لأعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها » (٤٦١).

ويلحق بضرب الأمثال التمثيل العملي فإنه أسرع للانتقال من لسان لآخر ، ومن محفل لآخر. عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: « إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل بأرض قرعاء ، فقال لأصحابه: انتوا بحطب ، فقالوا: يارسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب ، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه ، فجاءوا به حتى رموا بين يديه ، بعضه على بعض ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هكذا تجتمع الذنوب ».

ثم قال: « إياكم والمحقرات من الذنوب ، فإن لكل شيء طالباً ، ألا وأنّ طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین » (٤٦٢).

رابعاً : العبرة والموعظة

يتّخذ أهل البيت (عليهم السلام) من العبرة والموعظة وسيلة تربوية لتنوير العقل والقلب ، واستخلاص المفاهيم والقيم الكامنة وراء المواقف والحوادث ، وبالعبرة والموعظة يعي الإنسان حركة الحياة من حيث الشدة والرخاء ، وأسباب التقدم والتأخر للمجتمعات والحضارات ، وبالعبرة والموعظة يقلع الإنسان عن الممارسات المنحرفة ، ثم يتوجه لإصلاح نفسه لتسمو وتتكامل.

وقد ورد في (نهج البلاغة) الكثير حول الاعتبار بالأنبياء والصالحين ، وبالأقوام السالفة ، والاعتبار بما أصاب الأقوام المتمردة على طول التاريخ ، والتذكير بالموت والهلاك ، والنعيم والعذاب الخالد ، والتذكير بما أصاب الأمم المتمردة من قلق واضطراب ومن نقص في الثمرات والأنفس ، والتذكير بما تنعمت به الأمم الصالحة من نعم وخيرات. ومواعظ أهل البيت (عليهم السلام) لا تعد ولا تحصى ، وكان لها دور ملموس في تربية أصحابهم ومخالفينهم.

خامساً : الاقتداء

(٤٦١) الكافي، الكليني : ١ / ٣٧٥.

(٤٦٢) الكافي، الكليني : ٢ / ٢٨٨.

الاقتداء وسيلة هامة من وسائل التربية ; لأنّ الناس يتأثرون بمن يقتدون به ، وغالباً ما يكون القدوة من الطبقات العليا في المجتمع كالرؤساء والقادة وعلماء الدين أو من السلف المتقدّمين ، وأهل الكرامة وأهل القدوة يكرمهم الناس وهم الذين (يقتدي بهم عامة الشعب) (٤٦٣).

والاقتداء بالأسلاف (أكثر من الاقتداء بالطبقة العليا) (٤٦٤) ، لأنّ الناس يتأثرون بالتراث الفكري والسلوكي لأسلافهم ، وخير أسلوب لتعميق الاقتداء هو التوجيه المستمر والترويج المتزايد لسيرة الأسلاف وممارساتهم العملية ، وهذا ما أكدّ عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في منهجهم التربوي.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « إقتدوا بهدى نبيكم فإنه أصدق الهدى ، واستنوا بسنته فإنه أهدى السنن ».

وقال (عليه السلام): « طوبى لمن عمل بسنة الدين ، واقتفى آثار النبيين » (٤٦٥).

وقال (عليه السلام): « انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا » (٤٦٦).

وأكد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأهل البيت (عليهم السلام) فقال: « عليكم بآثار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسنته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده وسنتهم ، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى ، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ » (٤٦٧).

والتربية بالقدوة مقدمة على التربية بالقول أو الخطاب أو الموعظة ، ولهذا أكدّ أهل البيت (عليهم السلام) على المربي أن يكون قدوة ، وأن يربي الناس بالإقتداء به.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « من نصب نفسه للناس إماماً ، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه » (٤٦٨).

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناًراً ; كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقاتهم » (٤٦٩).

(٤٦٣) علم الاجتماع، لنقولا الحداد : ص ١٤٠.

(٤٦٤) المصدر السابق: ص ١٤٦.

(٤٦٥) تصنيف غرر الحكم : ص ١١٠.

(٤٦٦) نهج البلاغة : ص ١٤٣.

(٤٦٧) الكافي، الكليني : ٨ / ٨ .

(٤٦٨) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ١٨ / ٢٢٠.

سادساً : الحوار

الحوار من الوسائل المعمول بها في التربية والإصلاح ، فيه يطرح الإنسان متبنياته الفكرية والعاطفية والسلوكية ويرد على شبهات المحاورين ، ويطرح الأدلة والبراهين ويجيب على حجج المقابل.

وبالحوار يتمكن المحاور من معرفة الآخرين على المستوى الفكري والعاطفي والسلوكي ، ويتعرف على نقاط القوة والضعف في شخصياتهم ، ويتفهم مشكلاتهم بعمق ويعيش تجربتهم بكل جوانبها ، ويتعرف على مستوى التطور الطارئ أثناء وبعد الحوار ، وعلى ضوء هذه المعرفة يستطيع أن يضع لكل فرد الأسس والقواعد المناسبة لتوجيهه.

وقد استخدم أهل البيت(عليهم السلام) الحوار كوسيلة لإثبات حقهم في الإمامة ودورهم الريادي في الأمة ، ولإثبات المفاهيم والقيم الصالحة كأسس للتعامل وللتقييم ، وكانوا يحاورون مخالفينهم وأنصارهم حول مختلف القضايا والأمور وفي جميع مجالات العقيدة والشريعة ، فقد احتج الإمام أمير المؤمنين على أبي بكر وعمر وعثمان حول إمامته ودوره الرسالي في الأمة ، وناظر طلحة والزبير حينما خرجا عليه ، وحاور الخوارج ، وكانت للإمام الحسن(عليه السلام) حوارات مع معاوية وعمر بن العاص ، ومع أتباعه وأنصاره ، وكذا الحال في سائر الأئمة(عليهم السلام) ، وكانوا(عليهم السلام) يشجعون أنصارهم وأتباعهم على الحوار للوصول إلى الحقيقة إنطلاقاً من نقاط الاشتراك ، وكانوا يثنون على من يتمكن من الحوار مع الآخرين من أصحابهم.

سابعاً : الأساليب المتداخلة

من الأساليب المتداخلة: المراسلة والشعر ، وهما متداخلان مع بقية الأساليب التربوية ، ولأهميتهما كان أهل البيت(عليهم السلام) يستخدمونها في لغة التعبير ، لأنّ الحكمة والعبرة والموعظة والنصيحة تحقق غاياتها كلما كان الأسلوب شيقاً وجذاباً.

١ - المراسلة

كانت لأهل البيت (عليهم السلام) مراسلات مع مواليتهم ومخالفيتهم ، فيها الكثير من الإرشادات والنصائح والأوامر والمواعظ ، وقد حَققت نتائج ملحوظة في حركة التربية ، ونكتفي هنا بذكر بعض المراسلات الموجزة:

كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس: «أما بعد ، فإِنَّكَ لست بسابق أجلك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأنَّ الدَّهر يومان: يوم لك ويوم عليك ، وأنَّ الدنيا دار دول ، فما كان منها لك أتاكَ على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوَّتِكَ» (٤٧٠).

وكتب رجل للإمام الحسين (عليه السلام): عظمي بحرفين ، فكتب إليه: «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر» (٤٧١).

وعن عليّ بن سويد ، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: سألتَه عن الضعفاء ، فكتب إليّ: «الضعيف من لم ترفع إليه حجة ولم يعرف الاختلاف ، فاذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف» (٤٧٢).

٢ - الشعر

الشعر له دور في التربية والتوجيه والتنقيف عند جميع الأمم وفي جميع الحضارات ، وله دور في تحريك العقول والقلوب والضمائر ، وقد دلت التجارب والدراسات على ذلك. وأهل البيت (عليهم السلام) كمربّين لم يغفلوا أسلوب الشعر في الجانب التربوي ، فقد تمثّلوا بأشعار كثيرة في الموعظة والإرشاد ، ورويت لهم بعض الأشعار الموجزة المعبرة عن المفاهيم والقيم الصالحة ، نكتفي بذكر نماذج منها:

فمن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

وأفضل قَسَم الله للمرء عقله *** فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله *** فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل أنّه *** على العقل يجري علمه وتجاربه (٤٧٣)

وقال (عليه السلام):

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض *** على الماء خائنه فروج الأصابع (٤٧٤)

* * *

ومن الشعر المنسوب إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام):

(٤٧٠) نهج البلاغة : ٤٦٢ .

(٤٧١) الكافي، الكليني : ٢ / ٢٧٣ .

(٤٧٢) المصدر السابق: ص ٤٠٦ .

(٤٧٣) ديوان الإمام عليّ : ص ٣٧ .

(٤٧٤) ديوان الإمام عليّ : ص ١٩٤ .

تخرّب ما يبقى وتعمّر فانياً *** فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
أترضى بأن تفتى الحياة وتنقضي *** ودينك منقوص ومالك وافر^(٤٧٥)

* * *

نراغ إذا الجنائز قابلتنا *** ونلهو حين تمضي ذاهبات
كروعة ثلة لمغار سبع *** فلما غاب عادت راتعات^(٤٧٦)
ومن الشعر المنسوب للإمام جعفر الصادق (عليه السلام):
يموت الفتى من عثرة بلسانه *** وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه *** وعثرته بالرجل تبرأ على مهل^(٤٧٧)

* * *

ومن الشعر المنسوب للإمام عليّ الرضا (عليه السلام):
إني ليهجرني الصديق تحبباً *** فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته *** فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متحكّم *** يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما *** كان السكوت عن الجواب جوابا^(٤٧٨)

* * *

وأدخل الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) على المتوكل والكأس في يده ، فلما رآه هابيه وعظمه
وأجلسه إلى جانبه... وقال له: أنشدني شعراً ، فقال الإمام (عليه السلام): أنا قليل الرواية للشعر ،
ثم أنشده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم *** غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم *** وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم *** أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة *** من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم *** تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهنأ وما شربوا *** فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

(٣)و(٤٧٦) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور : ١٧ / ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٤٧٧) العقد الفريد، لابن عبد ربّه : ٣٠٣ / ٢ .

(٤٧٨) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق : ١٧٥ / ٢ .

فبكى المتوكل حتى بليت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون^(٤٧٩).

* * *

الفصل السابع

مميزات المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)

اختصّ منهج أهل البيت (عليهم السلام) بخصائص إمتاز بها عن غيره من المناهج ، وهي تعتبر الحجر الأساس في بناء الشخصية لمن يلتزم بها ، ومن أهمها:

١ - ربانيّة المنهج التربوي

أهل البيت (عليهم السلام) عنوان مضيء في حياة الإنسانية ، وعنوان شامخ في حركة التاريخ والمسيرة الإنسانية ، وهم أعلام الهدى وقدوة المتقين ، عُرفوا بالعلم والحكمة والإخلاص والوفاء والصدق والحلم وسائر صفات الكمال في الشخصية الإسلامية ؛ فكانوا قدوة المسلمين ورواد الحركة الإصلاحية والتغييرية في المسيرة الإسلامية ، وكان لهم مقامهم الكريم ودورهم السامي عند الفقهاء والمفسرين والرواة والمؤرخين والأدباء والشعراء ، وعند العابدين والزاهدين والأولياء.

وأهل البيت (عليهم السلام) عدل القرآن وهم القرآن الناطق المتحرك وقد تضافرت وتواترت الروايات على إثبات هذا المقام ، ففي رواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: « يا أيّها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي » (٤٨٠).

وفي رواية أخرى أنّه (صلى الله عليه وآله) قال: « إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله... وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض » (٤٨١).

ومثّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل البيت (عليهم السلام) بسفينة نوح فقال: « ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح... من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » (٤٨٢).

(٤٨٠) سنن الترمذي : ٥ / ٦٢٢.

(٤٨١) مسند أحمد بن حنبل : ٦ / ٢٣٢ ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : ٩ / ١٦٣.

(٤٨٢) المستدرک علی الصحیحین ، الحاكم : ٣ / ١٥١ ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : ٩ / ١٦٨ ، الجامع الصغير ، السيوطي : ٢ / ٥٣٣.

وقال(عليه السلام): « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس »(٤٨٣).

ووصفهم أمير المؤمنين(عليه السلام) قائلاً: « هم عيش العلم وموت الجهل ; يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ; لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، وهم دعائم الإسلام وولانج الاعتصام ، بهم عاد الحق إلى نصابه... عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية »(٤٨٤).

وقال(عليه السلام): « نحن النمرقة الوسطى ; بها يلحق التالي ، وإليها يرجع الغالي »(٤٨٥). وهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على عصمة أهل البيت(عليهم السلام)بمعنى إندكاكهم الكامل بالقرآن فلا افتراق ولا اختلاف عنه ، فما يصدر منهم صادر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى ، وبعبارة أخرى أنّ منهجهم هو منهج الله تعالى ، ولهذا يصح القول بأنّ منهجهم ربانيّ ، كما تدلّ أحاديثهم الشريفة على ذلك أيضاً.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) أدبه الله وهو أدبني ، وأنا أدب المؤمنين ، وأورث الآداب المكرمين »(٤٨٦).

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): « والله ما نقول بأهوائنا ، ولا نقول برأينا ، ولا نقول إلا ما قال ربنا »(٤٨٧).

وقال(عليه السلام): « لو كنّا نحدث الناس أو حدّثناهم برأينا لكنّا من الهالكين ، ولكنّا نحدّثهم بآثار عندنا من رسول الله(صلى الله عليه وآله) »(٤٨٨).

وسأله رجل عن مسألة فأجابه فيها ، فقال الرجل: أ رأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ قال له: « مه ، ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)لسنا من (أ رأيت) في شيء »(٤٨٩).

ووضّح(عليه السلام) سلسلة الحديث ومصادرها فأرجعها إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإلى الله تعالى فقال: « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث

(٤٨٣) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم : ٣ / ١٤٩ ، الصواعق المحرقة، ابن حجر : ص ٢٣٤.

(٤٨٤) نهج البلاغة : ص ٣٥٧ ، ٣٥٨.

(٤٨٥) نهج البلاغة: ص ٤٨٨.

(٤٨٦) تحف العقول، الحرّاني: ص ١١٤.

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٢ / ١٧٣.

(٤٨٨) المصدر السابق.

(٤٨٩) الكافي، الكليني: ١ / ٥٨ .

الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل «(٤٩٠)».

وعن سماعة عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)؟ أو تقولون فيه؟ قال: «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه» (٤٩١).

وعلى ضوء ما تقدّم يمكن القول: إنّ منهج أهل البيت (عليهم السلام) التربوي هو منهج رباني بمعنى انه موضوع من قبل ربّ الإنسان وخالقه وليس من وضع الإنسان ، فقد وضعه من له إحاطة تامة بالعالم كله وبالأرض كلها وبالناس كلهم ؛ يعلم سكنات النفس وما تخفي الصدور ، وهو سبحانه وتعالى أودع الغرائز والرغبات في الإنسان ، ولذلك فهو أعلم بكيفية اشباعها وبكيفية التوازن بينها ، فيكون المنهج التربوي الموضوع من قبله تعالى كاملاً لا نقص فيه ولا ضعف ، فيستجيب له الإنسان مطمئناً بأنّه المنهج الأمثل في التربية ، أمّا المناهج الوضعية فهي صادرة من البشر الذي يتصف بالضعف وعدم الإحاطة التامة بالحياة ، ويتصف بمحدودية فكره وكثرة أخطائه إضافة إلى تحكم الأهواء به ، فتكون ناقصة وقابلة للتبدّل والتغيّر لتغيّر آراء وتصورات واضعيها.

والإنسان بانتسابه إلى العقيدة الربانية يرى نفسه مرتبطاً بالمطلق العليم الحكيم المهيمن ، وهذه الرؤية تجعله مرتبطاً بغاية وهدف ، فلا عبث ولا لهو ؛ بل تكون جميع أفكاره وعواطفه وإرادته متجهة نحو المطلق ، ويستتبعها سلوكه في نفس الإتجاه ، فيبتعد الإنسان عن التخبّط والتغيّر السلبي والمزاجية والتمزّق والصراع النفسي ، ويستقيم على منهج واحد في عقيدته وعواطفه وسلوكه.

والربانية تزرع في نفس الإنسان حالة التقديس للمنهج التربوي ، لأنّه يشعر بأنّه موضوع من قبل المطلق العليم ، أو من قبل شخصيات شهد القرآن ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بعصمتها ، وهذا التقديس يشجع الإنسان ويدفعه إلى العمل الدؤوب لتطبيق قواعد المنهج التربوي في نفسه وأسرته ومجتمعه. ثم إنّ الارتباط بالله تعالى يدفع الإنسان للارتباط بكل ما يريده ربّه ، فيرتبط بالقرآن وما فيه من مقومات تربوية ، وبالعبادات وما فيها من قيم روحية والالتقاء بالصالحين ، والارتباط بالعلماء. وارتباط العبد بخالقه يحقق الاستقامة في السلوك بعد شفاء الإنسان من الوسوسة والقلق والاضطراب ؛ فيطمئن ويستشعر الحماية والأمن ، ويكون شفاءً من الأمراض السلوكية والاجتماعية.

(٤٩٠) الكافي، الكليني : ١ / ٥٣ .

(٤٩١) المصدر السابق : ١ / ٦٢ .

وقد أثبت منهج أهل البيت (عليهم السلام) التربوي قدرته على بناء الإنسان بناءً متكاملًا ، فقد تخرج على هذا المنهج مئات الشخصيات التي كانت قمة في السمو الروحي والتكامل النفسي والسلوكي ، وقدوة لجميع بني الإنسان لاستشعارها بأن المنهج ربانيّ النشأة وربانيّ المصدر ، وبعد أن واكبت تعاليمه وإرشاداته وقواعده منذ بداية الحياة الزوجية باختيار شريك الحياة المتدينّ الصالح ، ومروراً بمرحلة الحمل والطفولة بجميع مراحلها ، وكانت تلك الشخصيات قدوة لجميع بني الإنسان.

وعلى الرغم من ابتعاد أغلب المسلمين عن المنهج التربوي لأهل البيت في تصوراتهم وممارساتهم إلا أن آثاره بقيت حاکمة على كثير من المواقف والممارسات ، وكان المسلمون وخصوصاً أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أقل انحرافاً وانحطاطاً من غيرهم من أصحاب الديانات الإلهية المحرّفة أو الوضعية ، ولا تزال كثير من العلاقات الاجتماعية قائمة على أسس صحيحة تحت تأثير ذلك المنهج ولو قدر للإسلام أن يبقى في دوره الريادي دون إقصائه من قبل المحتلين والغزاة لانتهى الانحراف وانحسر في دائرة ضيقة.

وفي مقابل ذلك نرى أن المناهج الوضعية في التربية لم تحقق إلا مزيداً من الانحراف النفسي والسلوكي ؛ حيث القلق والاضطراب في النفس والانحراف في السلوك الفردي والاجتماعي ، وكان من آثاره كثرة الجرائم وكثرة الفساد وبالتالي فقدان الأمن والإطمئنان ، وفيما يلي نذكر بعض الإحصائيات في ذلك.

في نيويورك وحدها يوجد أكثر من ٣٠٠ ألف مدمن على المخدرات ، وهؤلاء يحتاجون يومياً إلى (٥٠ - ١٠٠) دولار لكل شخص لتأمين الهيروئين لأنفسهم ، وإن إحصاءات الجرائم في نيويورك تدل على أنها بلغت ٣٦٨ ألف جريمة خلال العشرة أشهر الأولى من عام ١٩٧٢ من أمثال القتل ، والاغتصاب ، والهجوم المسلح^(٤٩٢).

وفي عام ١٩٩١ بلغ عدد جرائم القتل إلى ٢٤٠٠٢٠ جريمة ، وقد ازداد العدد في عام ١٩٩٢^(٤٩٣).

وتشير الإحصائيات إلى ٩٦٣ حالة اغتصاب في الولايات المتحدة في أوائل التسعينات ، علماً أن الإباحية الجنسية منتشرة والسلوك الجنسي سهل الاشباع.

(٤٩٢) الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقي فلسفي : ١ / ١٨٦ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ).

(٤٩٣) مجلة نور الإسلام : ٤٣ / ٩٦ .

وفي مجال جرائم القتل العائلية أفادت دراسة لوزارة العدل الأمريكية في ١٠ تموز ١٩٩٤ أن ٨٠% من ضحايا القتل قتلوا بأيدي أفراد من عائلاتهم.

وفي عام ١٩٩٥ أعلنت وزارة الداخلية البريطانية أن نسبة الجريمة في إنجلترا وويلز ارتفعت للمرة الأولى في عامين ، وكانت أكبر زيادة في جرائم العنف والاعتداء والاغتصاب^(٤٩٤).

وأظهرت دراسة نشرها مركز مراقبة الأمراض والوقاية منها أن نسبة جرائم قتل الأطفال الأمريكيين في عام ١٩٩٥ بلغت ٢٥٧ طفلاً بين كل مائة ألف ، وبلغت نسبة الانتحار بين الأطفال دون الخامسة عشرة ٥٥ بين كل مائة ألف^(٤٩٥).

وأكدت منظمة الصحة العالمية أن حوالي مائة مليون من أطفال الشوارع حديثي السن يتعاطون الخمر والمخدرات وأن وضعهم يدعو إلى القلق.

ودلت الإحصائيات على أن عدداً كبيراً من فتيات تحت سن الخامسة عشرة تظهر عليهن آثار الحمل كل شهر ، وبما أن الأطباء يخشون القيام باسقاط الجنين لصغر سنهن فانهن يصبحن أمهات ، ويزداد طلب إجراء عملية الاجهاض يوماً بعد يوم من المستوصفات الأمريكية^(٤٩٦).

وفي إحصائية أقيمت سنة ١٩٨٥ دلت على أن طفلاً واحداً من بين كل ستة أطفال يولدون بصورة غير شرعية في بريطانيا ، وقد ارتفع عدد حالات الاغتصاب بنسبة ٢٧% خلال الستة شهور من سنة ١٩٨٥^(٤٩٧).

ودلت الإحصائيات الأخيرة على قبول الناس لفكرة الإنجاب غير الشرعي للأطفال ، وأكدت على أن ٣٤% من الأطفال الذين ولدوا أحياء في إنجلترا وويلز عام ١٩٩٥ ولدوا سفاحاً دون زواج^(٤٩٨).

وأشارت التقارير إلى وجود نصف مليون شابة يمارسن الدعارة في مدينة ساو باولو البرازيلية في عام ١٩٩٦ ، وأن أطفالاً بين سن السابعة والثامنة يعيشون من ممارسة الدعارة ، وأن موسكو تعاني من وجود أكثر من ألف طفل يتاجرون ببيع أجسادهم ، ودلت أيضاً على وجود ثماني مئة ألف من البغايا الأطفال في تايلند ، وأربع مئة ألف في الهند

(٤٩٤) العنف والجريمة، د. جليل وديع مشكور : ص ١٣ و ١٨، الدار العربية للعلوم، بيروت، (١٤١٨هـ).

(٤٩٥) صحيفة كيهان، العدد ٣٨٧٦.

(٤٩٦) الأفكار والرغبات : ١ / ١٨٠ .

(٤٩٧) الإسلام دين البشرية : ص ٦٢ .

(٤٩٨) مجلة نور الإسلام : ٩٦ / ٦٥ .

وستون ألف في الفلبين ، كما ظهرت مراكز دولية جديدة لبغاء الأطفال في فيتنام وكمبوديا ولاوس والصين ، وفي تقرير آخر أشار إلى أنّ أكثر من ٥٠% من البغايا الأطفال في تايلند مصابات بفيروس الإيدز^(٤٩٩).

وفي تموز عام ١٩٩٧ تظاهر نحو ٦٠ ألفاً من الشواذ جنسياً في شوارع لندن على غرار ما يفعلون سنوياً للمطالبة بحقوقهم ، وجرى لأول مرة في سويسرا حفل زواج لشابين شاذين جنسياً في كنيسة بروتستانتية بمنطقة برن.

وفي شباط ١٩٩٥ دعا البرلمان الأوروبي في قرار الدول الأعضاء إلى منح الشاذين جنسياً الحقوق والواجبات نفسها التي يتمتع بها الأزواج العاديون^(٥٠٠).

٢ - شمولية المنهج التربوي

يمتاز منهج أهل البيت (عليهم السلام) التربوي بالشمول ، فهو يراعي الإنسان في جميع مقوماته ، وينظر إليه من جميع جوانبه ، فهو مخلوق مزدوج الطبيعة روح وعقل وغرائز ، وجسد متعدد الجوارح ، وهو موضوع للإنسان ككل فلا انفصال بين حاجات الجسد وحاجات الروح ، فهو يدعو إلى اشباع حاجات الإنسان لكي يتقبل ما يلقي إليه من قواعد وأسس تربوية وتوجيهية وإرشادية.

والمنهج التربوي لأهل البيت (عليهم السلام) يواكب حركة الإنسان في جميع مراحلها ابتداءً باختيار شريك الحياة المناسب مروراً بمرحلة الاقتران وانعقاد الجنين ومراحل الطفولة الأخرى ، ويضع لكل مرحلة تعاليم وتوجيهات منسجمة مع عمر الطفل الزمني والعقلي ، ومع حاجاته المادية والروحية ، ثم تأتي التكاليف حينما يصل الطفل إلى مرحلة من النضج الجسدي والعقلي ؛ لتكون هي الموجهة له في حركته الواقعية في الحياة.

والمنهج التربوي لا يقتصر على تعاليم وإرشادات خاصة في مجال معين بل إنّها شاملة لجميع المجالات ، وكل ما يسهم في تربية الإنسان بشكل أو بآخر ، حيث يبدأ المنهج بربط الإنسان وخصوصاً في مرحلة الطفولة بالمفاهيم والتصورات الإسلامية الأساسية ، كالإيمان بالله تعالى ، وبالثواب والعقاب ، وذكر الله عن طريق قراءة القرآن والدعاء والعبادة ، وذكر الموت ، والرضا بالقضاء.

والمنهج التربوي يتدخل في جميع المؤثرات التربوية ، فيدعو إلى إصلاح المحيط التربوي المتمثل بالأسرة والأصدقاء وحلقات الذكر والمسجد والعلماء وأجهزة الدولة.

(٤٩٩) الطفولة المنحرفة : ص ١٠٦ و ١٠٨ .

(٥٠٠) مجلة نور الإسلام : ٥٩ / ٨٦ .

ولا يقتصر المنهج على القاء التعاليم والإرشادات ، بل يدعو إلى خلق الأجواء السليمة التي تسهم في تطبيق تفاصيل المنهج ، وهي تعميق المودة داخل الأسرة ، ومراعاة الحقوق والواجبات ، وتجنب المشاكل والخلافات ، واشباع حاجات الطفل إلى الحبّ والحنان والتكريم وأشعاره بذاته ، واشباع حاجاته إلى الرفاهية وإلى اللعب وإلى الحرية وإلى السلطة الضاغطة الموجهة.

والمنهج التربوي شامل في استخدام أساليب اللين والشدّة ومراعاة الحقوق والواجبات ، وهو شامل لمعرفة الأفكار وتنميتها ، وتنمية العواطف ، وتنمية الإرادة ، وتربية السلوك ، ويتصاعد المنهج التربوي بتكثيف التربية والتمرين على الطاعات المختلفة حسب القدرة ودرجة التلقي وتفاوت الأعمار.

وحينما تصطدم حاجات الإنسان بالواقع ويحرم من تحقيق بعضها بسبب الظروف النفسية أو الاجتماعية ، يضع المنهج التربوي برنامجاً لمقاومة حالات التصدع النفسي في شخصية الإنسان ، ومعالجة الأمراض النفسية والروحية وهي في مهدها ، ومن مصاديق هذا البرنامج الدعوة إلى الصبر لأنه سلاح المؤمن في مقاومة العقبات والهموم والآلام ، وبه يتغلب على جميع أثقال الحياة من جوع ومرض وفقير وحرمان ومن اضطهاد وظلم ، والصبر له تأثيرات إيجابية على الصحة النفسية ، والإنسان الذي يقابل الحرمان والهموم والآلام بالصبر والثبات سيكون مطمئناً مستقراً ؛ لإيمانه بأنّ الله معه يحرسه ويرعاه ويتلطفّ عليه ، ويفرّج عنه الضيق والشدّة.

والصابر يكون في أعلى قمم الصحة النفسية حينما يشعر بأنّ الله يعوضه عن صبره بالحبّ واللفظ ، فلا شقاء مع حبّ الله له ، ولا قيمة لشيء أمامه وهو داخل في دائرة الحبّ الإلهي ، ومن مصاديقه أيضاً التفكير بالجزاء والثواب الخالد ، فإنّ لهذا التفكير تأثيراً إيجابياً على من يعيش الحرمان والمصائب والآلام ؛ لأنّ التفكير بالجزاء والعوض الإلهي عمّا فقده في الدنيا يجعله يعيش الأمل في نيل ذلك الجزاء ، وهذا الأمل يخفّف من معاناته ، ويجعله موصولاً بالسعادة في الدنيا التي يؤمن بزوالها وفنائها.

والمنهج شامل في اختيار المربين والمصلحين من حيث خصائصهم الذاتية وخصائصهم العملية لكي تكون التربية ناجحة ومنسجمة مع المنهج الإلهي العام. والمنهج شامل في اختيار الأساليب الناجحة والتي تؤثر على العقول والقلوب بعد أن تستجيب إليها لإنسجامها مع ظروف وأحوال الناس.

٣ - واقعية المنهج التربوي

راعى المنهج التربوي لأهل البيت (عليهم السلام) واقع الإنسان من جميع جوانبه ، فهو كائن ذو شطرين ذكر وأنثى ، ولكلّ منهما خصائصه الفسيولوجية والسلوكية ، وهو كائن ضعيف محدود القدرة بالقياس إلى خالقه ، وهو كائن ذو قدرات بالقياس لغيره من المخلوقات ، وهو كائن ذو نجليدين يحمل في جوانحه نوازع الخير والشر معاً ، وهو كائن يؤثر ويتأثر بالمحيط الذي يعيشه سلباً أو إيجاباً.

وراعى المنهج التربوي لأهل البيت (عليهم السلام) واقع الإنسان ناظراً إلى جميع جوانبه داعياً إلى اشباعها بتوازن بحيث لا يطغى جانب على جانب ، ولا ناحية على ناحية ، وقد وضع لكل جانب مقوماته وحدوده الواقعية فلا تقييد مطبق ولا إطلاق العنان دون تناه . وهو منهج تتقبله العقول والنفوس بلا حرج ولا مشقة ، والإنسان حينما يلتزم بقواعده يشعر بمناعاتها له وإنسجامها مع

كيانه المزدوج ، وهي سهولة التطبيق لمن استعدّها لها وتهيأت له الأرضية المناسبة عن طريق الوراثة والمحيط الاجتماعي في جميع مراحلها.

ومن واقعياته أنّه راعى دور الوراثة ودور المحيط التربوي في البناء التربوي للإنسان ، وراعى دور التقييم الذاتي والتقييم الاجتماعي في التربية ، وراعى دور القدوة في التربية وجميعها أمور واقعية.

ومن واقعية المنهج التربوي تركيزه على دور القيم المعنوية في التربية ومنها الإيمان بالله تعالى وبالعباد والثناء ، فهذا الإيمان حاجة فطرية قبل كل شيء يملئها الواقع الإنساني ، وفي ذلك قال الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمس: (أينما يقيم حديث حول اختيار الإله وعلمه الأبدي أو حول الخير والشر ، تجد كل شخص قد أصاغ بسمعه له)^(٥٠١).

وقال الفيلسوف اليوناني أبيقور: (العقيدة بالله يجب أن تكون مستمرة كاستمرار النفس).

وقال برودون: (الله هو الكائن الذي لا يدرك ولا يوصف ، ومع هذا فهو ضروري).

وقال أيضاً: (إنّ ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا).

وقال المسيو بوشيت: إن اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق كان اعتقاداً اضطرارياً قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده ، ومهما صعد الإنسان بذاكرته في

(٥٠١) علم النفس، جميل صليبا : ١١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (١٤٠٤ هـ).

تاريخ طفوليته ، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة ، وصار لها أكبر الآثار في حياته^(٥٠٢).

والإيمان باليوم الآخر ينسجم مع تطلعات الإنسان لما وراء الحياة ، وهذا الإيمان بالمطلق وبالثواب والنعيم ، يمنح الإنسان طاقة روحية متسامية ، يحافظ من خلالها على سلامته النفسية واستقامته السلوكية ، فلو أصابه الحرمان وحال الواقع دون اشباع حاجاته فإن الإيمان سيخفف من معاناة الحرمان.

والإيمان باليوم الآخر أمر واقعي ، كما هو واضح في آراء العلماء والمفكرين ، وفي ذلك يقول نورمان فنسنت بيل: (والواقع أنّ الشعور الغريزي بوجود عالم آخر بعد الموت هو من أقوى الأدلة على هذا الوجود...وأنّ الشوق إلى خلود الحياة - ولو في عالم آخر - إحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف عام)^(٥٠٣).

والاستدلال على وجود الله تعالى لا يحتاج إلى عناية استثنائية مثالية ، بل يعتمد على الواقع ، وكما ورد في حديث أمير المؤمنين(عليه السلام): «بصنع الله يُستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالفكرة تثبت حجته ، وبآياته احتج على خلقه.. وابتدأوه إياهم دليل على الابتداء له ؛ لعجز كل مبتدئ عن إبداء غيره»^(٥٠٤).

وقد دلت التجارب والدراسات العلمية الحديثة على دور الإيمان بالله وباليوم الآخر في إصلاح الفساد الأخلاقي والإجتماعي ، وقام بعض علماء النفس باستخدام العلاج الديني في علاج الأمراض النفسية والخلقية والاجتماعية.

ومن واقعية المنهج التربوي مراعاته لواقع الإنسان من حيث استسلامه لنزواته ورغبته في الاستقامة في آن واحد ، لذا جعل الاستغفار والتوبة طريقاً للعودة للاستقامة ، والتي تنسجم مع الرغبة في إصلاح النفس والندم على الأعمال القبيحة.

ومن واقعية منهج أهل البيت(عليهم السلام) التربوي أنّه ثابت في أصوله وأسسهِ متطور في أساليبه ووسائله كما روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام)قوله: « لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم »^(٥٠٥).

والمنهج التربوي منهج واقعي في أهدافه وغاياته ومنها:

١ - تعريف الإنسان بنفسه وعالمه.

(٥٠٢) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي : ٤٨٢٠١ ، ٤٨٣ ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١.

(٥٠٣) روح الدين الإسلامي : ص ١١٥ .

(٥٠٤) تحف العقول، الحرّاني : ص ٤٣ .

(٥٠٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢٠ / ٢٦٧ .

- ٢ - تعريف الإنسان بخالقه وبثوابه وعقابه.
- ٣ - تعريف الإنسان بالأنبياء والأئمة والأوصياء.
- ٤ - تعريف الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقاته الإجتماعية.
- ٥ - اعداد الشخصية المتوازنة فكرياً وعاطفياً وسلوكياً.
- ٦ - توظيف الطاقات في اتجاه الخير والصالح ، والسمو والتكامل.
- ٧ - تنمية روح الاخلاص.
- ٨ - مراعاة العواطف الإنسانية.
- ٩ - تحكيم المفاهيم والقيم الصالحة في الواقع.
- ١٠ - توعية الإنسان.

ومن واقعيته انه لا كلفة فيه ولا تكلف وأن أسسه وقواعده منسجمة مع طاقات الإنسان في جميع مراحل حياته ، ولهذا راعى واقع الإنسان في تكاليفه وفي إرشاداته وفي أوامره ونواهيه ، فلم يطلب منه الانقطاع للعبادة مثلاً ، فقد جعل العبادات محدودة توصله بربه ولا تقطعه عن مجتمعه ، وراعى الظروف الطارئة للإنسان فنوع العبادات ، في الحضر والسفر والمرض ، وجعل العبادات المندوبة منسجمة مع اختيار ورغبة الإنسان ، فراعى طاقته المحدودة وتبدل الإقبال في نفسه وفي واقعه الخارجي ، وفي ذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام): « إنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً ، فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها ، فإنَّ القلب إذا أكره عمي »(٥٠٦).

وراعى المنهج التربوي واقع الإنسان النفسي والروحي والمعنوي وحاجاته المتنوعة ، فقد راعى فطرة الإنسان في ميلها إلى الترويح عن النفس ، فسنَّ لها الألعاب المنسجمة مع إنسانية الإنسان كالفرسية والسباحة والرمي وما شابه ذلك ، وأباح له الملكية الفردية في حدودها المشروعة ، ووضع له قواعد موضوعية في العلاقات والمعاملات والممارسات ، فقد جعل الضرورات تبيح المحظورات ، وجعل نظام العقوبات منسجماً مع فطرة الإنسان وواقعه مع مراعاة ظروف الانحراف والجريمة وأسبابها وعواملها.

وقد دلت الدراسات النفسية والاجتماعية على حاجة الإنسان للعقاب من أجل إصلاح وتغيير وراحة نفسه ، فالمصاب بعقدة ذنب (لا يستطيع أن يُخَفَّفَ مما يعانیه من شعور خفي موصول بالذنب إلا إذا ورط نفسه - عن غير قصد ظاهر منه - في متاعب ومشاكل.. لا يناله منها إلا العنت والتعب والمشقة والعذاب ، بل قد يستفز عدوان الغير عليه أو عدوان

المجتمع ، فإذا حلّ به العقاب هدأت نفسه وزال عنه ما يغشاه من توتّر ، فكأن هذا الفرد في حاجة موصولة إلى عقاب نفسه سواء كان هذا العقاب مادياً أو معنوياً... والواقع أنّ الحاجة إلى عقاب النفس صورة خاصة من الحاجة إلى الغفران ، فالفرد يرحّب بعقاب نفسه طمعاً في التخفيف من مشاعر الذنب التي تفوق هذا العقاب إيلاًماً ، أي أنه يختار أهون الشرّين^(٥٠٧).

ومكارم الأخلاق التي حتّ عليها المنهج التربوي واقعية في حدودها وألوانها وطبيعتها ، فهي منسجمة مع النفس الإنسانية ومحبة لديها تتقبّلها وتركن إليها وتستهدي بها ، كإقامة العدل وردّ العدوان والتعاون والإحسان والإيثار والكرم والعفو والصبر وما شابه ذلك. وفي جميع الظروف والأحوال فإنّ المنهج التربوي راعي طبيعة الإنسان من حيث ضعفه ومحدوديته ، فهو تركيب من لحم ودم وأعصاب ، ومن عقل ونفس وروح ، ومن غرائز وشهوات ، وله رغبات وأوضاع نفسية كالحب والبغض ، والرجاء والخوف ، والأنا والتنافس وما شابه ذلك ، ولهذا راعي الضعف البشري والدوافع البشرية والحاجات البشرية ؛ فجاء منسجماً مع الإنسان مقبولاً لديه لا كلفة فيه ولا عناء.

٤ - التوازن والاعتدال

يمتاز المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام) بالتوازن والاعتدال في جميع جوانبه المرتبطة بالإنسان ؛ فيضع لكل شيء حدوده وقيوده ، فلا يطغى جانب على آخر ولا ناحية على أخرى ، فهو يراعي حاجات الجسد وحاجات الروح في آن واحد ، ويراعي حاجات الإنسان بشطريه: الذكر والأنثى ، ويراعي حاجات الفرد والمجتمع فلا تطغى حاجة على أخرى ولا جانب على آخر ولا حق على آخر.

والمنهج التربوي الموجه للإنسان والمجتمع نحو الآخرة يوازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة ، فلا يمنع من التمتع بالطيبات الدنيوية كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والاشباع العاطفي والجنسي ؛ لأنّ الحرمان منها يولد القلق والاضطراب ، وإنما يضع القيود على تلك الطيبات ، ويوجه الإنسان في نفس الوقت إلى الاعداد للدار الآخرة بالالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية ، فلا يطغى طلب الدنيا على طلب الآخرة بالانغماس بالطيبات والملذات دون قيود أو حدود ، ولا يطغى طلب الآخرة على طلب الدنيا بحرمان الإنسان من متعها المشروعة.

قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام): « اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم ، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات »^(٥٠٨).
وقال العلاء بن زياد لأمير المؤمنين (عليه السلام): أشكو إليك أخي عاصم ، قال: وما له؟
قال: لبس العباءة وتخلي عن الدنيا ، قال: عليّ به ، فلما جاء قال (عليه السلام): « يا عديّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحل لك الطيبات ، وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك ».

قال: يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!
قال: « ويحك ، إني لست كأنت ، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس ، كيلا يتبيغ بالفقير فقره »^(٥٠٩).

والدعوة إلى التوازن والاعتدال شاملة لجميع المرافق والميادين ، ومنها الميدان النفسي ، فالتوازن مطلوب في مختلف الظروف والأحوال المحيطة بالإنسان.
في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمام الحسين (عليه السلام) قال: « يا بني أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضى والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وبالعدل على الصديق والعدو ، وبالعمل في النشاط والكسل ، والرضى عن الله في الشدة والرخاء »^(٥١٠).
والمنهج التربوي متوازن في نظرته للعلاقة العملية بين الإنسان وخالقه ، فلا يدعو إلى ترك العمل توكلأ على الله ، ولا الانغماس بالعمل بلا توكل ، والتوكل يمنح الإنسان طاقة وقوة حيوية تجعله مطمئناً سواء تحقق ما أراده من عمله أم لم يتحقق ، ومعوقات إنجاز العمل لا تسلبه الاطمئنان وهو متوكل على الله.

ويدعو المنهج التربوي إلى الإيمان المتوازن ابتداءً بأصل الإيمان ; حيث التوازن بين إيمان أصحاب الخرافة الذين يسرفون في الاعتقاد ويؤمنون بكل شيء ويصدقونه وإن كان خارجاً عن أسس الإيمان ، وبين الذين ينكرون كل ما وراء الحس وما وراء الطبيعة ، والتربية على الإيمان الواقعي قائمة على أساس العقل والبرهان ، وعلى النصوص المتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن أهل البيت (عليهم السلام) ليستجيب لها الإنسان عن قناعة وقبول دون إكراه أو إجبار أو تزوير للحقائق ، وكذا الحال في الإيمان بالأنبياء ، فإن المنهج التربوي يدعو إلى التأسّي

(٥٠٨) تحف العقول : ص ٣٠٧ .

(٥٠٩) نهج البلاغة : ٣٢٤ .

(٥١٠) تحف العقول : ص ٥٨ .

والإقتداء بهم ، فينفي عنهم صفة الألوهية ، وينفي عنهم الإنحراف الذي تدّعيه بعض الديانات ، ويوجه الإنسان إلى الإيمان الواقعي بهم.

ويوازن المنهج التربوي بين التكليف والقدرة ، فلا يكلف الإنسان فوق طاقته البدنية والروحية ، ويتدرج في أسس التربية حسب العمر الزمني والعقلي ، فلا يأمر بأسلوب شاق ولا أمر شاق ، وهذا التدرج يولد في الإنسان أنساً وشوقاً لأداء التكليف ، فيسعى لأدائه والسير على أساسه دون ضجر أو كلل أو ملل.

ويوازن المنهج التربوي بين مجالات المسؤولية ; ويجعلها موزعة على الجميع ، فالفرد مسؤول عن نفسه وعن غيره ، والمجتمع مسؤول عن نفسه وعن أفراد ، فهناك مسؤولية فردية ، وهناك مسؤولية اجتماعية ، والمسؤولية موزعة فالأب مسؤول عن أسرته والأم كذلك ، والكبير مسؤول عن الصغير ، والمدرسة والتجمعات الاجتماعية والعلماء والدولة مسؤولة عن الأفراد وعن المجتمع ، وتكون المسؤولية قائمة على أساس تقسيم الحقوق والواجبات ، فللفرد حقوقه وواجباته ، وللأسرة حقوقها وواجباتها ، وللمجتمع حقوقه وواجباته ، فلا يطغى حقّ على حقّ ولا واجب على واجب ، ولا حقّ على واجب ، ولا واجب على حقّ.

ويوازن المنهج التربوي بين الغاية والوسيلة ، فلا يبيح للإنسان استخدام الوسيلة الضعيفة من أجل غاية سامية وشريفة ، فيحرم الكذب على الغير وإن كان إرضاءً لهم أو يحقق له أولهم بعض المصالح ، ويحرّم الخداع والتضليل وإن أدّى إلى علاج بعض الأزمات النفسية والروحية.

ويوازن المنهج التربوي في أساليب ووسائل التربية ، حيث يبتدأ بالدعوة لاتفاق الوالدين على تطبيق القواعد الكلية للمنهج التربوي على مصاديقها بأسلوب واحد لا اختلاف فيه ، سواء في العلاقات القائمة بينهما أو علاقاتهما مع الأطفال ، أو في مفردات الأسلوب ، ويوازن بين اللين والشدّة في التعامل فلا إفراط ولا تفريط ، فلا يحبّذ اللين الدائم ولا الشدّة الدائمة ، ففي الوقت الذي يدعو إلى الإحسان إلى الطفل وتكريمه وإشعاره بذاته ، يدعو أيضاً إلى استخدام الشدّة في مواقعها لإشعار الطفل باحترام القوانين الموضوعية ، والتميز بين حقوقه وحقوق الآخرين ، وفي الوقت الذي يدعو فيه إلى منح الطفل الحرية في اختيار طريقة اللعب مثلاً ، يدعو للتدخل في منعه من بعض الألعاب المضرة به وبغيره ، كما يؤكد المنهج التربوي على التوازن في التعامل مع الأطفال ، والاعتدال في إظهار المحبة لهم ، والتوازن في النظرة العاطفية إلى البنين والبنات.

التداخل بين المنهج التربوي وبقية مناهج الحياة

المنهج التربوي لأهل البيت (عليهم السلام) متداخل مع بقية المناهج التي تكون مجتمعة منهج الإسلام الشامل والكامل للكون والحياة والمجتمع والإنسان ، فلا فصل بين المنهج التربوي وبقية المناهج ولا تصادم ولا تضاد ولا تناقض ، لأن الهدف الأساسي لأهل البيت (عليهم السلام) هو إنجاح مسيرة التربية وإشاعة الأخلاق الفاضلة وتقريرها في واقع الحياة ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(٥١١).

وبهذا يكون كل ما جاء به الإسلام في القرآن والسنة يراد به إتمام مكارم الأخلاق ، فالعقيدة بجميع أبعادها تخلق الأجواء الصالحة لتتحرك فيها خطوات إصلاح النفس والمجتمع ، والمحافظة على سلامة الإنسان السلوكية وصحته النفسية والروحية ، والإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر يحرر الإنسان من الإنسياق وراء الشهوات بلا قيود ولا حدود ، والخوف من أهوال يوم القيامة يمنع الإنسان من ممارسة ألوان الفسق والانحراف.

ومنهج العبادات يعمل على تعميق الإيمان بالله ويجعل الرقابة الإلهية حقيقة تسري في جميع جوانح الإنسان ، والعبادات بكل ألوانها تغرس في نفسه المثل المعنوية التي يتعالى بها على جميع ألوان الانحراف والانحطاط ، فالصلاة تمنح الإنسان الطمأنينة وتنهيه عن الفحشاء والمنكر وتبعده عن جميع الآثام والانحرافات ، والمداومة على الصلاة المندوبة كفيلة بإيصاله إلى السمو والتكامل الروحي والخلقي.

والصوم يعمق التقوى في ذات الإنسان ، ويقيد الغرائز والشهوات ، ويهذب سلوك الإنسان ويحصنه من تلويث خلقه ، قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): « إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ، إن مريم (عليها السلام) قالت: «إني نذرت للرحمن صوماً» أي صمتاً ، فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تحاسدوا ولا تنازعوا »^(٥١٢) وهو أحد العبادات التي تساعد على التكافل والتراحم والتي تساعد على تعميق العلاقات الإنسانية التي يتحرك من خلالها الإنسان مطمئناً يشعر بالإخاء والتآزر والتعاطف.

والحج عبادة لها آثارها الإيجابية على سلامة الإنسان السلوكية والنفسية والروحية ، وهو يمنح الإنسان فرصة جديدة لتجاوز الانحرافات والآثام السابقة ، والبدء بحياة جديدة تغمرها الاستقامة والخلق الرفيع ، قال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): « حجّوا واعتمروا تصحّ

(٥١١) كنز العمال، المتقي الهندي : ٣ / ١٦ .

(٥١٢) الكافي، الكليني : ٤ / ٨٩ .

أبدانكم وتتسع أرزاقكم ، وتكفون مؤونات عيالكُم... الحاج مغفور له وموجب له الجنة ، ومستأنف له العمل ، ومحفوظ في أهله وماله» (٥١٣).

والعبادات المالية كالزكاة والخمس تخلق التوازن بين الطبقات وتعمق الأواصر الاجتماعية كالتآلف والتآزر والتعاون ، وتهيء الأجواء التربوية والنفسية المانعة من الانحراف بسبب الفقر والحرمان ، والمانعة من الأمراض النفسية الناجمة من عدم اشباع الحاجات الأساسية للإنسان.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجمع الطاقات لتنتقل في الإصلاح والتغيير وقلع جذور الفساد والانحراف واشاعة الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة ، فيتكافل الجميع في المسؤولية التربوية ، فيكون الفرد رقيباً على ممارسات المجتمع ، ويكون المجتمع رقيباً على ممارسات الفرد ، وبهذه المسؤولية تتحقق خطوات المنهج التربوي في الواقع بأسرع الأوقات ، وبأقلها عناءً وكلفة.

والمنهج الاجتماعي له الدور الكبير في إنجاح سير وحركة المنهج التربوي ، فقد وضع أهل البيت (عليهم السلام) برنامجاً واقعياً في العلاقات داخل الأسرة ، فكل فرد من أفرادها حقوق وواجبات يتربى من خلالها الإنسان على الأخلاق الكريمة ليكون عنصراً فعالاً في المجتمع يأمن من خلالها المجتمع من ممارسة الانحراف والانحطاط والرذيلة والجريمة.

والمنهج الاقتصادي يهيء الأجواء المناسبة لإنجاح المنهج التربوي ، ويمنع من الانحراف الأخلاقي الناجم عن الفقر والحرمان والاستغلال والظلم الاقتصادي ، ويوازن بين الطبقات ليحقق التآلف ويمنع من الفقر ومن الثراء الفاحش اللذين يشكلان أساس بعض الانحرافات الخلقية.

والمنهج السياسي له دور ملموس في بناء المحتوى الداخلي للإنسان وتهذيب سلوكه الاجتماعي ، والمنع من جميع ألوان الانحراف والانحطاط ، والمنهج السياسي القائم على أساس الإمامة الصالحة يحقق الغاية الأساسية وهي إتمام مكارم الأخلاق ، بتهيئة أجوائها المناسبة في الواقع.

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): «إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعزّ المؤمنين ، بالإمام تمام الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف ، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب» (٥١٤).

(٥١٣) الكافي، الكليني : ٤ / ٢٥٢ .

(٥١٤) الكافي : ١ / ٢٠٠ .

وفي حديث آخر قال (عليه السلام): «... يحقن الله عزّوجلّ به الدماء ، ويصلح به ذات البين ، ويلمّ به الشعث ، ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، ويرحم به العباد» (٥١٥).

واشتراط العصمة في مَنْ يلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واشتراط العدالة في الفقيه النائب عن الإمام المهدي (عج) ضمان لنجاح حركة التربية وتطبيق قواعد المنهج التربوي وبقية المناهج الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر

- ١ - أعلام الدين/ الديلمي
- ٢ - الإسلام دين البشرية / مؤسسة البلاغ.
- ٣ - أصول علم النفس، علم النفس وتطبيقاته، المعجم الفلسفي.
- ٤ - الأحداث المنحرفون/ د. علي محمد جعفر.
- ٥ - أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث.
- ٦ - أضواء على النفس البشرية/ د. الزين عباس عمارة.
- ٧ - إرشاد القلوب/ الديلمي.
- ٨ - الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان/ د. ابراهيم الدرّ.
- ٩ - الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب/ محمد تقي فلسفي.
- ١٠ - الأمالي/ الشيخ المفيد.
- ١١ - بحار الأنوار/ المجلسي.
- ١٢ - البداية والنهاية/ ابن كثير.
- ١٣ - تهذيب الأحكام/ الشيخ الطوسي.
- ١٤ - تاريخ اليعقوبي / أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي .
- ١٥ - التحليل النفسي للشخصية / د. فيصل عباس.
- ١٦ - التوحيد/ الشيخ الصدوق.
- ١٧ - تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي.
- ١٨ - تحف العقول/ الحراني.
- ١٩ - تصنيف غرر الحكم / عبدالواحد الأمدي.
- ٢٠ - الجامع الصغير/ السيوطي.
- ٢١ - حديث الأمهات/ د. سبوك.
- ٢٢ - الخصال/ الشيخ الصدوق.
- ٢٣ - خصائص أمير المؤمنين للنسائي
- ٢٤ - دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن/ د. عبدالوهاب حمود.
- ٢٥ - دراسات في تفسير السلوك الإنساني/ د. عبدالرحمن العيسوي.
- ٢٦ - دعائم الإسلام/ القاضي النعماني المغربي.

- ٢٧ - دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي.
- ٢٨ - ديوان الإمام عليّ (عليه السلام) .
- ٢٩ - ربيع الأبرار للزمخشري.
- ٣٠ - رجال الكشي.
- ٣١ - روح الدين الإسلامي / عبدالفتاح طيارة.
- ٣٢ - سيكلوجية النمو والارتقاء / د. عبدالفتاح دويدار.
- ٣٣ - سيكلوجية الجنوح / د. عبدالرحمن العيسوي.
- ٣٤ - السلوك الإنساني/ د. فخري الدباغ.
- ٣٥ - سير أعلام النبلاء/ الحافظ الذهبي.
- ٣٦ - سنن الترمذي.
- ٣٧ - الشخصية بين النجاح والفشل / د. عباس مهدي.
- ٣٨ - شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد.
- ٣٩ - الشخصية وأثر معاملة الوالدين في تكوينها / انطوان رحمة
- ٤٠ - الصواعق المحرقة / ابن حجر.
- ٤١ - صفوة الصفوة / ابن الجوزي.
- ٤٢ - صحيفة كيهان العدد (٣٨٧٦).
- ٤٣ - الصحيفة السجادية الجامعة.
- ٤٤ - الطفولة المنحرفة/ د. جليل وديع شكور.
- ٤٥ - الطفل بين الوراثة والتربية / محمد تقي فلسفي.
- ٤٦ - علل الشرايع / الشيخ الصدوق.
- ٤٧ - علم النفس التربوي / فاخر عاقل.
- ٤٨ - علم نفس النمو / د. حامد زهران.
- ٤٩ - علم النفس التربوي / د. علي منصور.
- ٥٠ - علم النفس / جميل صليبا.
- ٥١ - علم النفس والتربية والاجتماع / د. عبدالرحمن العيسوي.
- ٥٢ - العنف والجريمة/ د. جليل وديع شكور.
- ٥٣ - علم الاجتماع / نقولا حداد.
- ٥٤ - عوالي اللئالي / محمد بن علي الإحسائي.
- ٥٥ - علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية/ د. عبدالعزيز القوصي.
- ٥٦ - العلاج النفسي الجماعي للأطفال / كاميليا عبدالفتاح.

- ٥٧ - العلاقات الجنسية، مظاهر النمو ومقومات التربية / شهاب الدين الحسيني.
- ٥٨ - العقد الفريد / ابن عبد ربّه الأندلسي.
- ٥٩ - عيون أخبار الرضا / الشيخ الصدوق.
- ٦٠ - فن الإرشاد والعلاج النفسي / د. عبدالرحمن العيسوي.
- ٦١ - قاموس الطفل الطبي / محمد رفعت.
- ٦٢ - الكافي / الكليني.
- ٦٣ - الكامل في التاريخ / ابن الأثير.
- ٦٤ - كشف الغمة / الإربلي.
- ٦٥ - كنز العمال / المتقي الهندي.
- ٦٦ - لسان العرب / ابن منظور.
- ٦٧ - مجمع الزوائد / الهيتمي.
- ٦٨ - مستدرك الوسائل / للمحدث النوري.
- ٦٩ - مسند أحمد بن حنبل.
- ٧٠ - المحجّة البيضاء / الفيض الكاشاني.
- ٧١ - المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري.
- ٧٢ - مقتل الحسين / الخوارزمي.
- ٧٣ - مكارم الأخلاق / الطبرسي.
- ٧٤ - مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب.
- ٧٥ - من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق.
- ٧٦ - مجموعة ورّام .
- ٧٧ - مجلة نور الإسلام.
- ٧٨ - منهج التربية، أساسياته ومكوناته / د. علي مذكور.
- ٧٩ - مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الإصفهاني.
- ٨٠ - مشاكل الآباء في تربية الأبناء / د. سپوك.
- ٨١ - مختصر تاريخ دمشق / ابن منظور.
- ٨٢ - مسند الإمام زيد / عبدالعزيز البغدادي.
- ٨٣ - نحو إنسانية سعيدة / د. محمّد المبارك.
- ٨٤ - نهج البلاغة / محمّد عبده.
- ٨٥ - نهج البلاغة / د. صبحي الصالح.
- ٨٦ - وسائل الشيعة / الحرّ العاملي.

الفهرس

كلمة المجمع ... ٥

الفصل الأول: أصول التربية في منهج أهل البيت (عليهم السلام)

الأصول النفسية للتربية ... ٩

أولاً: التهيؤ والاستعداد النفسي ... ٩

ثانياً: التعقل ... ١٢

ثالثاً: التعلم والانتقال ... ١٤

رابعاً: المحاولة والفعاليّة ... ١٨

خامساً: التجارب ... ٢٠

الأصول الشخصية للتربية ... ٢٣

أولاً: الاعتدال النفساني بين المربي والمتربي ... ٢٣

١ - حق المعلم أو المربي ... ٢٤

٢ - حق المتعلم أو المتربي ... ٢٤

ثانياً: قبول المسؤولية التربوية ... ٢٥

ثالثاً: التدبّر والتأني والحذر ... ٢٧

رابعاً: التكامل ... ٣٠

الأصول الاجتماعية للتربية ... ٣٤

أولاً: التعاون ... ٣٤

الشورى ... ٣٦

ثانياً: الوفاق الاجتماعي ... ٣٨

التنافس المشروع ... ٤٠

ثالثاً: مراعاة حقوق الآخرين ... ٤٢

رابعاً: العدالة الاجتماعية ... ٤٤

الفصل الثاني: أثر الوراثة والمحيط في البناء التربوي

أولاً: دور الوراثة ... ٤٩

الخصائص والصفات المنقولة بالوراثة ... ٥١

١ - الخصائص والصفات النفسية والعقلية ... ٥٣

٢ - الخصائص والصفات الخلقية ... ٥٥

ثانياً: دور المحيط التربوي ... ٦٠

١ - الأسرة ... ٦١

٢ - الأصدقاء والأصحاب ... ٦٢

٣ - المجالس وحلقات الذكر ... ٦٥

٤ - المساجد ... ٦٧

٥ - العلماء ... ٦٨

٦ - الدولة ... ٦٩

أثر الغرائز في التربية ... ٧٠

الفصل الثالث: التركيز على مرحلة الطفولة

في المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)

المبادرة الى التعليم ... ٨٠

تعليم الطفل معرفة ربّه ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) ... ٨٤

تكثيف التربية ... ٩٠

سيرة أهل البيت (عليهم السلام) في تكثيف التربية ... ٩٤

تنمية العواطف ... ٩٧

التمرين على العبادات ... ١٠٥

وقاية الطفل من الانحراف ... ١١٣

الفصل الرابع: عوامل نجاح المنهج التربوي بنظر أهل البيت (عليهم السلام)

علاقات المودة بين الوالدين ... ١٢٠

مراعاة الحقوق والواجبات داخل الأسرة ... ١٢٣

تجنب الخلافات والصراعات داخل الأسرة ... ١٣٠

التحذير من الطلاق ... ١٣٥

اختيار المنزل الواسع ... ١٤٢

اشباع حاجات الأطفال ... ١٤٦

- أولاً: الحاجة الى المحبة والتقدير ... ١٤٩
- ثانياً: الحاجة الى الرفاهية ... ١٥٣
- ثالثاً: الحاجة الى اللعب ... ١٥٧
- رابعاً: الحاجة الى الجنس ... ١٦١
- الطريق الأول: الوقاية وتتم عن طريق الخطوات أو المقومات التالية ... ١٦٢
- الطريق الثاني: الزواج المبكر ... ١٦٣
- التوازن في الأساليب التربوية ... ١٦٤
- العدالة بين الأطفال ... ١٦٨

الفصل الخامس: دور القيم المعنوية والنفسية في المجال التربوي

المبحث الأول: دور القيم المعنوية في التربية من خلال إرشادات أهل البيت (عليهم السلام) ... ١٧٥

- ١ - الإيمان بالله تعالى ... ١٧٥
- ٢ - الإيمان بالثواب والعقاب ... ١٧٨
- ٣ - ذكر الله تعالى ... ١٨٢
- أولاً : قراءة القرآن الكريم ... ١٨٤
- ثانياً : الدعاء ... ١٨٥
- ثالثاً : العبادة ... ١٨٧
- ٤ - ذكر الموت ... ١٨٩
- ٥ - الاعتراف بالذنوب ... ١٩١
- ٦ - الاستغفار ... ١٩٣
- ٧ - التوبة ... ١٩٥
- ٨ - الرضا بالقضاء ... ١٩٧
- المبحث الثاني ... ٢٠٠
- طرق تقييم النفس ودورها في التربية ... ٢٠٠
- ١ - تنمية الحياء ... ٢٠٠
- ٢ - تنمية الضمير ... ٢٠٢
- ٣ - إثارة الوجدان ... ٢٠٥
- ٤ - التقييم الذاتي ومحاسبة النفس ... ٢٠٧

الفصل السادس: خصائص المربين وأساليب التربية

- المبحث الأول: خصائص المربين ... ٢١٣
- الخصائص الذاتية للمربين ... ٢١٤
- أولاً : العلم والمعرفة ... ٢١٤
- ثانياً : القدوة ... ٢١٦
- ثالثاً: الإنصاف والإيثار ... ٢١٩
- رابعاً: الزهد ... ٢٢١
- خامساً : البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام ... ٢٢٢
- الخصائص العملية للمربين ... ٢٢٤
- أولاً: المداراة ... ٢٢٤
- ثانياً: الرفق ... ٢٢٧
- ثالثاً: الإحسان ... ٢٣٠
- رابعاً : الاختلاط بالناس ... ٢٣٢
- خامساً : الصبر والحلم ... ٢٣٤
- سادساً : القدرة على التقييم الموضوعي ... ٢٣٥
- المبحث الثاني : أساليب التربية ... ٢٣٧
- أولاً : أسلوب الخطاب ... ٢٣٧
- ثانياً : القصص ... ٢٣٩
- ثالثاً : الأمثال والتمثيل ... ٢٤١
- رابعاً : العبرة والموعظة ... ٢٤٣
- خامساً : الاقتداء ... ٢٤٤
- سادساً : الحوار ... ٢٤٦
- سابعاً : الأساليب المتداخلة ... ٢٤٧

الفصل السابع: مميزات المنهج التربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)

- ١ - ربانيّة المنهج التربوي ... ٢٥٣
- ٢ - شمولية المنهج التربوي ... ٢٦٣

٣ - واقعية المنهج التربوي ... ٢٦٧

٤ - التوازن والاعتدال ... ٢٧٤

التداخل بين المنهج التربوي وبقية مناهج الحياة ... ٢٧٩

المصادر ... ٢٨٥

الفهرس ... ٢٩١